طقوس وعادات أهل "أبزو"

المصطفى فرحات



طقوس وعادات أهل "أبزو"

المصطفى فرحات

طقوس وعادات أهل "أبزو"

المصطفى فرحات

منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

مركز الدراسات الفنية والتعابير الأدبية

سلسلة دراسات وأبحاث - رقم 3-

التنسيق والتقديم : فؤاد ازروال، مصطفى جلوق، محمد مخلص

الناشر : المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية

الإخراج والمتابعة : مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل

تصميم الغلاف : الحضيكي، وحدة النشر

(مركز الترجمة والتوثيق والنشر والتواصل)

المطبعة : مطبعة المعارف الجديدة - الرباط

الإيداع القانوني : 2007 / 0645

ISBN : 9954 - 439 - 75 -7

تقديم

تشكل العادات والتقاليد المغربية وثيقة حية تعبر عن المضامين التاريخية والثقافية والاجتماعية المختلفة التي تحصلت لدى كل مجموعة أوقبيلة أو منطقة من خلال حركيتها عبر العصور، كما تعد مؤسسة تقوم بتوجيه نشاط الأفراد والجماعات وتخلق لهم قنوات تصريف مكبوتاتهم العاطفية والاجتماعية وإحساساتهم المقهورة مما يحقق لهم فرص التحرر من أعباء الحياة اليومية ومشاقها.

كما تعد أيضا، مؤسسة تربوية تساهم في التنشئة الاجتماعية بما تمارسه من عمليات ترسيخ المقومات الأخلاقية ودعائم التوافق مع الذات الاجتماعية والانضباط للأعراف العامة، وبما تنشره من المعارف والتجارب المتوارثة عن الأجيال السابقة والمستقدمة من الثقافات والجماعات الأخرى التي تم الاحتكاك بها.

وتتضمن، هذه العادات والتقاليد كذلك، مادة أدبية وفنية إبداعية غاية في الثراء، مادة تمتزج فيها الأنواع والأجناس، كالشعر والرقص والغناء والحكي و التمثيل والهزل والجد....و تتقاطع فيها ممارسات إنسانية هامة، كالاستشفاء والاصطياف والإشباع الروحي....وتحمل مؤثرات ثقافات متعددة اغتنت بها الثقافة المحلية في إطار المعايشة والتجاور والتحاور كالإغريقية والرومانية والعربية واليهودية و الإفريقية...

والحقيقة، أن تراث هذه التقاليد والعادات بالمغرب لم ينل بعد ما يستحقه من اهتمام ودراسة، بل إنه تعرض في فترة من فترات المغرب الحديث لكثير من التحقير والتسخيف والاتهام بالارتباط بالاستعمار وبأسباب التخلف، ولم يتم الالتفات إليه بنظرة مغايرة إلا في مرحلة متأخرة جدا في إطار الدينامية الثقافية التي أطلقتها مجموعة من "الحركات الثقافية والاجتماعية" بالمغرب، أهمها " الحركة الثقافية الامازيغية" التي ألحت على إبراز خصوصية الهوية المغربية من خلال تميز تراثها الثقافي والحضاري في إطاره العام.

كانت أولى تباشير تدوين عادات وتقاليد المغاربة قد انطلقت مع وفود الكشافة والرحالة الأوروبيين ابتداء من أواسط القرن 19 من باب البحث عن سبل التمهيد للاستعمار، ثم تطور في مرحلة الاستعمار مع تكوين "البعثة العلمية " وإقدام قواد الجيش وبعض الباحثين الانتربولوجيين على إنجاز منوغرافيات ودراسات ميدانية ضمنوها عدة مؤلفات أهمها "الارشيفات البربرية" ومجلة " هسبريس تمودا" .

وبالرغم مما خلفه لنا هؤلاء، فإن جزءا كبيرا من تقاليدنا وأعرافنا الاجتماعية والثقافية بقي في الظل محتاجاً إلى مجهودات الدارسين لوصفه وقراءته. ولا أوفق، بهذا الصدد، من أن تنجز مونوغرافيات محددة جغرافيا وقبائليا من طرف باحثين قريبين مما يقومون بجمعه وتدويينه ووصفه، لأنهم يكونوا أقرب وجدانيا ومعرفيا بها، وأكثر دقة و علما بالأماكن والأفراد والتفاسير والشعائر التي ترتبط بها، ولأنهم يكونوا قد عايشوا وعاشوا الكثير من مظاهر هذه التقاليد والعادات واختبروها من داخل التجربة الشخصية.

وفي هذا الإطار تدخل هذه الدراسة الوصفية القيمة التي قام بها الباحث المصطفى فرحات حول عادات وتقاليد أهل"ابزو"، والتي سعى فيها إلى تقديم صورة شاملة وجامعة حول التقاليد والعادات التي كانت -والتي لا تزال- تزخر بها الحياة الاجتماعية العامة بهذه المنطقة الأطلسية الجميلة.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في كونها:

1. تهتم بمنطقة لم تلق من العناية ما يكفي للتعريف بها وبما يزخر به تراثها من فنون و آداب وممارسات ثقافية واجتماعية، منطقة تكاد تكون من ضمن أكثر المناطق المنسية والمهمشة من لدن الدارسين والباحثين بالمغرب.
2. استعملت لغة وصفية بسيطة وسلسلة استطاعت أن تنفذ إلى دقائق المواضيع وتفاصيلها، واستطاعت أن تجلو القيم والمميزات الخاصة التي يتميز بها مظهر من مظاهر الطقوس التعبدية والعقدية والاحتفالات و المواسم المعروفة لدى أهل المنطقة.
3. حاولت أن تحيط بكل التقاليد والطقوس المعروفة بالمنطقة، ومعالجتها عبر تصنيفها وتحديد جذورها و فضاءاتها ووضعيتها الراهنة، وعبر الوقوف عند بعض عناصرها المميزة والخاصة.

ولقد قام الباحث، كما يبدو جليا من أسلوبه في البحث، بمجهود كبير من أجل الحفاظ على أكبر قدر ممكن من الصدق في سرده للشعائر والطقوس، وفي وصفه للأماكن والوقائع والأحداث وما يرتبط بها من أساطير وخرافات ومعتقدات. فقد قام ببحث ميداني قربه من حقيقة موضوعه وجوهره، وعزز ما أورده في كل ذلك بالصور والجداول التوضيحية وبعض الوثائق الطريفة.

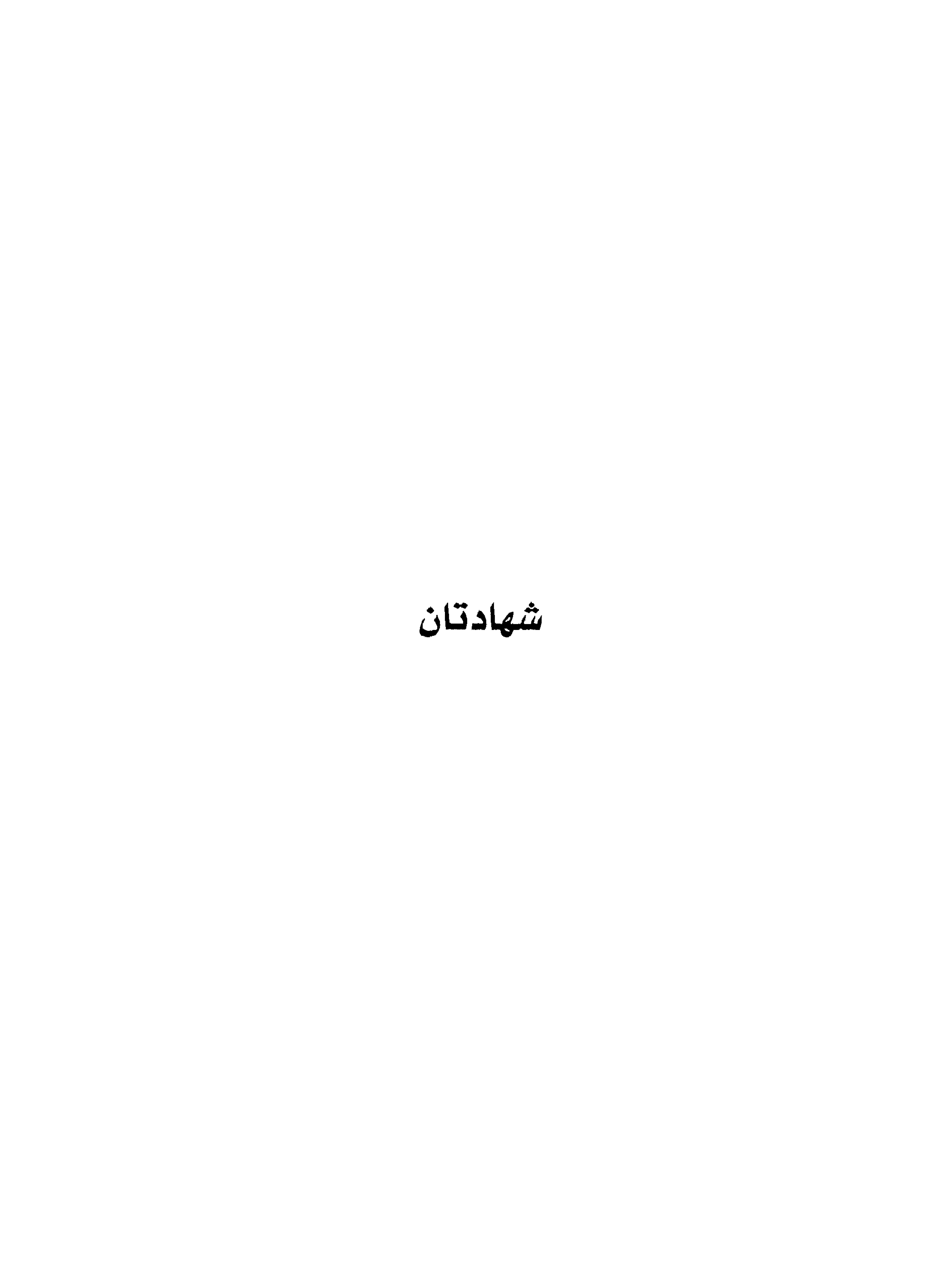
وقسم الباحث مؤلفه هذا إلى فصلين قدم لهما بتوطئتين وذيلهما بأربع ملاحق، فجاء توزيعه كالتالي:

- شهادتان.
- مدينة " ابزو": الإطار الجغرافي:
- الفصل الأول: الفضاءات المقدسة والطقوس المرافقة لها.
- الفصـل الثانـي: عـادات وتقاليـد.
- ملاحق.

ولاشك أن القارئ سيجد في هذا المؤلف إفادة ومتعة رفيعتين، لأنه سيقوده في رحلة استكشافية هادئة بمنطقة " ابزو"، وفي ثقافة تمتزج فيها العبقرية الامازيغية في الفن والإبداع بعناصر أخرى من الثقافة الوطنية العربية واليهودية التي تعايشت بالمنطقة عصورا طويلة، وفي مجال يتجاور فيه الخيال والأرواحية والسحر بالواقع والجد والحياة اليومية...

ونأمل أن يكون هذا البحث دافعا وحافزا قويين للباحثين الآخرين، بهذه المنطقة الامازيغية وسواها، للاستمرار على هذا النهج البسيط والصادق في تدوين التراث الثقافي الوطني وجمعه وتوثيقه. كما أتقدم بالشكر الصادق إلى زميلي "جلوق مصطفى"(مركز الدراسات الانتربولوجية والسوسيولوجية) و"محمد مخلص" (مركز الترجمة والنشر و التوثيق والتواصل) اللذين شاركا معي في قراءة هذا البحث وحثاني على الإسراع بإخراجه إلى الوجود.

فؤاد ازروال



شهادتان

1- "ابزو مدينة قديمة مبنية على جبل عال غير بعيد عن المدينة السابقة (فم الجمعة)- بنحو عشرين ميلا إلى جهة الغرب يجري تحتها وادي العبيد على بعد نحو ثلاثة أميال- وسكان ابزو كلهم تجار أمناء حسنو الهندام، يصدرون الزيت والجلود والأغطية إلى بلاد السودان- وينتج جبله كثيرا من الزيت والحبوب ومختلف أنواع الفواكه الطيبة- ومن عاداتهم تجفيف عنب ذي لون ومذاق عجيبين، كما يملكون عددا هائلا من أشجار التين، وهي أشجار عظيمة ضخمة، وتبلغ أشجار الجوز حدا متناهيا من الارتفاع"

محمد بن الحسن الوزان

وصف إفريقيا.ص *134*.

2 - "ابزو مدينة قديمة تضم أزيد من ألف وخمسمائة ساكن من موقع لائق ملائم على جبل عال شاهق من جبال الأطلس الكبير، تحيط بها أسوار، وبروج مشيدة بالحجر الموثق.. تربتها في غاية الخصب، تنتج القمح والزيت، وترعى فيها العديد من القطعان تكتنفها حدائق وبساتين تسقى من جبال منحدرة من الجبل.. السكان أغنياء مهذبون يحبون الغرباء كثيرا لباسهم أنيق يتكون من قماش ونسيج رقيق ككتان مراكش، هم بربر من قبيلة مصمودة، نسائهم بيض جميلات أنيقات، وفي المدينة مسجد جميل يخترقه جدول ماء ويخرج منه إلى السهل فيسقي في طريقه البساتين الموجودة في الحدود".

مارمول كرلاباخ

وصف إفريقيا ج/2. ص111.

مدينة "ابزو"
الإطار الجغرافي

ذكر اسم "ابزو" لأول مرة مرفوقا ببعض التفاصيل في كتاب "وصف إفريقيا" لـ "محمد بن الحسن الوزان" أواخر العهد الوطاسي، وحددها في إطار جغرافي واسع أطلق عليه قديما بلاد "هسكورة". يقول: "تبتدئ هسكورة من التلال المتاخمة لـ"دكالة" غربا لتنتهي شرقا عند نهر "تنسيفت" في سفح جبل "أنماي" وتتاخم شمالا "وادي العبيد" الفاصل بين "هسكورة" و"تادلة" كما تفصل "دكالة" وتلالها هذه الناحية عن البحر المحيط". [1]

وكان مجال هسكورة يضم عدة مدن بعضها لم يعد له وجود اليوم. وهذه المدن هي: "(المدينة) "دمنات حاليا"، المدين (اندثرت)، تكوداست (اندثرت)، الجمعة "ابزو"، وواويزغت (اندثرت)، غجدامة (اندثرت)، تساوين (اندثرت)". [2]

وقبل محمد بن الحسن الوزان، قسم أبو بكر الصنهاجي المكنى بالبيدق (عاش أوائل القرن السادس) مجال هسكورة إلى قسمين: "هسكورة القبلة" و"هسكورة الظل"، وذكر من افخاد هسكورة الظل "هنتيفة". [3]

ولا تزال قبيلة "انتيفة" موجودة إلى اليوم وتشمل مجالا واسعا يضم كل من "تنانت"، "فم الجمعة"، "ابزو"، "أوزود"، "أيت تكلا"..

أما الأستاذ "التقي العلوي" فحدد مجال "هسكورة" بين "بلاد المصامدة" غربا، و"بلاد صنهاجة" أو "أزناكة" شرقا [4]، ولاحظ أن حدودها أخذت تتقلص وتنكمش مع مرور الزمن باحتلال "السراغنة" و"الرحامنة" للجزء الغربي من التراب الهسكوري لتحل محلها مقاطعة أزيلال حاليا [5].

واليوم تقع "ابزو" في النهاية الجنوبية الغربية لأطلس بني ملال، يحدها من الشمال "مشرع الحمري"، ومن الشمال الشرقي "دار أولاد زيدوح"، ومن الشرق "أولاد عياد". أما من الغرب فتحدها "قلعة السراغنة"، ومن الجنوب "الصهريج"، كما يحدها من الجنوب الشرقي "تنانت" و"أزيلال"[6].

---

(1)- محمد بن الحسن الوزان. وصف إفريقيا. ترجمة محمد حجي، محمد زنيبر محمد الأخضر- أحمد التوفيق. ط 1988، ص129.

(2) - نفسه

(3) - البيدق المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب. تحقيق الوهاب بن منصور- طبعة دار منصور. 1971، ص 53.

(4) - التقي العلوي. مقال: أصول المغاربة. القسم العربي، مجلة البحث العلمي عدد 35. السنة 1985. ص 418- 334.

(5) - نفسه

(6) - انظر الخريطة.

الفصل الأول

الفضاءات المقدسة
والطقوس المرافقة لها

تمهيد

1- تعتبر ظاهرة الفضاءات المقدسة عامة، والأضرحة خاصة، من الظواهر اللافتة للانتباه في بلدة "ابزو" نظرا لكثرتها وتنوع أشكالها. لقد ترسخت هذه الفضاءات في الذاكرة الجماعية للسكان، ولعبت دورا خطيرا - ولا تزال - في تشكيل تاريخهم وثقافتهم باعتبارها المعادل الموضوعي لغياب كل أشكال الوعي "المنظم" و" العالم".

وقد حققت العشائر توافقها النفسي والاجتماعي والإقتصادي والثقافي، وحققت تفوقها السياسي من خلال ارتباطها بأحد الأولياء الأقوياء الذي تنسب له أفعال خارقة ومعجزة أعطته المشروعية ليرقى إلى مستوى التقديس.

2- إن عدم القدرة على التفاعل الإيجابي المبني على العقل والمنطق مع الواقع المعقد، دفع الناس إلى تقديس الأضرحة التي شكلت عبر الزمن آليات لضبط السلوك الفردي وإعطاء هوية خاصة للجماعة في إطار تفاعلها السلبي أو الإيجابي مع الجماعات الأخرى التي تتقاسم معها نفس المحيط الجغرافي، و فرض ما ينتج عن ذلك من منافسة وصراع على الجماعات إيجاد أماكن مقدسة شكلت في مخيلة الناس واسطة ما بينهم وما وراء الطبيعة / الغيب يتوجهون إليها في حالات الجفاف أو الفيضانات أو الأوبئة أو هجوم الأعداء...

3- مع مرور الزمن، ومع التقدم العلمي والتقني الذي لمس السكان تأثيراته في حياتهم اليومية (الإعلام، التواصل، الطب، التعليم...)، بدأ الناس يخففون من زياراتهم للأضرحة والأماكن المقدسة الأخرى مما عرض العديد منها إلى الإهمال والزوال، إلا أن هذه الفضاءات لا تزال حاضرة في المخيال الجماعي للسكان خصوصا في الدواوير والمداشر المعزولة، ولا تزال بعض الأضرحة تمارس تأثيرها وإغراءاتها خصوصا لدى الفئة المعوزة عندما تواجه أوقاتا عصيبة، فتلتجئ إلى الولي أو غيره لتستدر عطفه وبركاته..

1 -الأسباب والعوامل التي ساهمت في ظهور وانتشار ظاهرة تقديس الأولياء.

ظاهرة تقديس الأولياء ليست ظاهرة جديدة بل إنها تضرب في أعماق التاريخ. يقول علي حسن: "تقديس الأولياء ظاهرة قديمة يمكن إرجاعها إلى مرحلة الاستقرار وبداية الحضارة، والاستقرار لا يعني فقط الارتباط بالأرض (الزراعة)، بل يعني أساسا استقرار وسيلة كسب الإنسان لعيشه بشكل أمن له مراكمة معارفه الزراعية، وانتقالها من جيل إلى آخر، هذا الاستقرار أدى إلى استقرار روحي ونفسي، روحي يتمثل في البحث عن إجابات

لأسباب التحولات الطبيعية في السحر ثم الميثولوجيا (الديانة القديمة)، ونفسي يتمثل في ميلاد الأسرة على أساس الزواج الأحادي أي رجل لامرأة."(7)

وعند استقرائنا لهذا النص نستنتج أن الكاتب يرجع ظاهرة تقديس الأولياء إلى عوامل عدة:

أ - اجتماعي/اقتصادي: يتمثل في ظهور المجتمعات الزراعية.

ب - حضاري: الاستقرار وبداية تشكل مجتمعات ثابتة.

ج - معرفي: تراكم المعارف الزراعية وانتقالها من جيل إلى آخر.

د - روحي: البحث عن إجابات لأسباب التحولات الطبيعية مما أدى إلى ممارسة السحر وظهور الخرافة.

هـ - نفسي: يتمثل في ميلاد الأسرة وظهور الزواج الأحادي.

وهذه أهم العوامل التي اعتبرها الباحث "علي حسن" من أسباب نشوء وتشكل وانتشار ظاهرة تقديس الأولياء، وسنعمل من جهتنا على تتبع هذه العوامل، و على تدعيمها بأدلة مستقاة من منطقة "أبزو" باعتبارها مجال هذا البحث.

العامل الاجتماعي:

يمكن اعتبار الضريح، أو أي فضاء يحظى بالتقديس لدى الناس جهازا من أجهزة المراقبة الإجتماعية، وشكلا من أشكال السلطة المعنوية. يقول أشلي مونتاغيو: "إن الطقوس عند البدائيين تطهيرية خلاقة.. ويعدون ذروة احتفالاتهم مثالا جيدا على التعبير التطهيري عن الشعور المبهم نحو المقدسات.. ويشكل التعبير عن المشاعر المبهمة من خلال تلك المؤسسات أحد عوامل تقوية البنية الاجتماعية بشكل عام." (8)

بناء على هذا، فإن الالتفاف حول الضريح،أو أي رمز يحظى بالتقديس، يهدف إلى حماية كيان القبيلة أو يحفظ لها هويتها واستمرارها ووحدتها، كما يساهم الرمز المقدس في ضبط سلوك الفرد داخل الجماعة: فكل شخص سولت له نفسه الخروج عن العرف أو الإساءة إليه فقد ينال عفو القبيلة، وقد تجتمع القبيلة عليه وتقوده إلى المكان المقدس ويدعون (عليه) بالموت، ثم يطرد نهائيا من القبيلة. وإلى وقت قريب كانت هذه الظاهرة

(7) - علي حسن: اوجه الاستبداد والديمقراطية، تاريخية المؤسسات والتحولات الاجتماعية في العالم القديم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء. ط 1 ،ص: 13.

(8) - اشلي مونتاغيو: البدائية، ترجمة: مصطفى عصفور (ضمن سلسلة: عالم المعرفة). مايو (أيار) 1982. ص: 119- 120.

منتشرة في أوساط المجتمع "البزيوي" وفي جل الدواوير. أما الكيفية التي كان يتم بها ذلك فإن الشخص الراغب في طرد ابنه (يتبرأ منه) يطلب من المؤذن أو من يقوم مقامه الصعود إلى سطح المسجد يوم الجمعة وينادي في الناس أن "فلان" بن "فلان" يتبرأ من ابنه "فلان".. ومن وقتها فإن الأب لا يتحمل مسؤولية أفعال ابنه، ومن ثمة نستخلص مع "تايلر" أن أهم ما يمكن أن نتعلمه من القبائل البدائية (غير الكتابية) هو كيف يستطيع المجتمع أن ينظم أموره بدون شُرْطَة يحافظون على النظام."(9)

إضافة إلى هذا فإن المكان المقدس يشكل فضاء يسمح - خصوصا- للنساء بالتواصل وتبادل المعارف وخلق علاقات جديدة في مجتمع يمارس على المرأة أقصى درجات العزلة. وهكذا جرت العادة في منطقة "ابزو" أن تلتقي النساء في أضرحة أو فضاءات مقدسة أخرى على امتداد الأسبوع، بل أكثر من هذا، فأمام غياب حمام شعبي يجمع النساء ليتعرفن على أجساد بعضهن البعض - خصوصا أجساد الفتيات المقبلات على الزواج - فقد اخترعن طريقة ذكية لبلوغ هذا الهدف، وهي الاستحمام في عين "للارحمة" ببحيرة "تامدة" ، أو في رحى مائية قديمة تسمى "رحى افشتالن" لإزالة العين و "العكس" المسبب للعنوسة.

العامل الاقتصادي:

لعبت الأضرحة دورا مهما من الناحية الاقتصادية عن طريق إقامة المواسم السنوية التي تهدف إلى إنعاش التواصل بين القبائل، والتي يشكل (الولي) اللحمة التي تجمعها.

وهذه المواسم ظاهرة قديمة تعود إلى أزمنة موغلة في القدم، الهدف منها هو التواصل وتحقيق المنافع المادية وتغيير شكل المجتمعات. وإن تغيرت هذه الأهداف مع تقدم الزمن، فالجوهر ظل ثابتا: الطواطم التي كانت العشائر القديمة تعبدها استبدلت بأولياء وأماكن وأشياء أخرى، والمقصدية هي إعلان القرابة بين القبائل المشاركة في الموسم حتى ولو كانت ادعاء باعتبار القرابة كما قال تايلر: "علاقة اجتماعية تقوم على التعاون(10)."

كما تستفيد بعض الشرائح الاجتماعية - خلال المواسم - مما يقدم للضريح من قبل الزوار، سواء تلك المنتسبة إلى الضريح أو القائمة عليه، وهي في منطقتنا فئتان: "الشرفاء" وهي أعلى مرتبة ، و "الهيدرية" وهي أقل شأنا، أو تلك الزائرة التي تكون غالبا

(9) - نفسه. ص: 181.

(10)- نفسه. ص: 304.

من الفئات الاجتماعية الفقيرة التي تعاني من أمراض وعلل يتطلب علاجها مصاريف باهضة لا يمكنها توفيرها، فيلجأ معظم أفردها إلى التبرك بالمكان المقدس طلبا للشفاء والعافية.

العامل العضوي:

يلتجئ الناس أيضا،إلى الأضرحة بقصد الاستشفاء من أمراض متعددة، وقد استعرض "محمد بن الحسن الوزان" أهم الأمراض التي كان يعاني منها الإنسان المغربي في عصره (ق.16) ، و التي لا يزال بعضها منتشرا - خصوصا في البوادي المعزولة - كالقرع ،والعديد من الأوبئة التي كانت تجتاح بلاد الأمازيغ ، فيقول في ذلك : "يتكون القرع عادة في رؤوس الأطفال، والنساء البالغات، فيصعب الاستشفاء منه إلا بمشقة عظيمة. ويصيب صداع الرأس كثير من الناس دون حمى في بعض الأحيان، وتكثر أمراض الأسنان التي يظن أنها ناشئة عن كون هؤلاء القوم يشربون الماء البارد فور تناولهم الحساء الحار، ويتألمون كذلك من أمراض المعدة التي يسمونها جهلا أمراض القلب، ويصاب الكثير منهم يوميا بإسهال وأوجاع حادة في أمعائهم.. ويكثر عندهم ألم "النسا" (بوزلوم)، والركب بسبب الجلوس على الأرض وهم لا يلبسون أي نوع من السراويل.. ويصاب عدد من الناس بداء الجنب (لفتق)، وكثيرا ما يشاهد مرض الأعصاب، ويصاب به كثير من النساء، ومن البلاهة اعتبار هؤلاء كمصابين بمس من الجـن" (11). وفي حديثه عن الأوبئة يقول: "يظهر الوباء في بلاد البربر على رأس عشر سنوات أو خمسة وعشرين سنة، وعندما يأتي يذهب بالعديد من الناس، لأنه لا يهتم به أحد، لا يستعمل أي دواء باستثناء التمسح بالتراب الأرميني حول دمل الطاعون". (12)

هذه الصورة المأساوية التي رسمها "محمد بن الحسن الوزان" عن الأمراض الفتاكة التي كان الإنسان المغربي في صراع دائم معها دون أن يستطيع القضاء عليها هي التي دفعت بالكثير منهم إلى تلمس الحل في القوى الغيبية من خلال ممارسة طقوس السحر والشعوذة أملا في الشفاء. ولا يزال الناس حتى يومنا هذا بمنطقة " أبزو"، عندما يداهمهم المرض، يقصدون الأضرحة والأشجار ومنابع المياه متضرعين و متوسلين الشفاء من أمراض عضوية ونفسية.

---

(11) - محمد بن الحسن الوزان، وصف إفريقيا ،ص: 134.

(12) - نفسه.

العامل النفسي:

علمنا علم النفس أن أهم عنصر في حياة الإنسان النفسية. والذي يحرك مجمل السلوكات والأفعال - هو الرغبة في إشباع الحاجيات، سواء أكانت روحية أوكانت مادية. إلا أن إشباع هذه الحاجيات ليس متيسرا دائما، لأن الفرد يواجه من جهة رغبات الآخرين، ومن جهة ثانية الواقع بكل تعقيداته وإكراهاته، ومن ثمة تكون زيارة مكان مقدس وسيلة من الوسائل الناجعة لمواجهة الواقع بقصد استعادة التوازن النفسي وتحقيق المصالحة مع الذات ومع الآخرين..

وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم بمنطقتنا لماذا يستطيع الإنسان عندما يزور ضريحا أو وليا أو أي فضاء تفترض فيه "البركة" يستعيد بعض عافيته وصحته، وبالمقابل عندما لا يتحقق ذلك لشخص آخر يقال عنه: "إنه قليل النية".

إن أي فضاء يتوفر فيه شرط القدسية يمثل في واقع الأمر جزءا هاما من تراث الأمة و من نسيجها الروحي، فهويساعد الأفراد على التكيف العاطفي وعلى الإقلال من العداوة الإجتماعية الواسعة ومن الشعور بالاغتراب.

فلا عجب إذن، في عادات قبائل المنطقة، أن أي اعتداء على الرمز المقدس، ماديا كان أو معنويا (تحطيم الرمز أو شتمه)، يعتبر اعتداء على الجماعة و اعتداء يستوجب العقوبة المتمثلة - في الغالب - في طرد المعتدي من العشيرة أو إقصائه من المشاركة في أمورها الدينية أو الدنيوية، وإذا أراد النجاة من ذلك فعليه بالتوبة .

العامل السياسي:

لا أحد يجادل في الدور القيادي الذي لعبته الزوايا والأضرحة طيلة تاريخ المغرب السياسي. فقد شكلت الزوايا قوة ضغط سياسية هائلة تنامت مع الزمن إلى أن أصبحت في بعض الأوقات تحتل مراكز قيادية في الدولة. لذا عوملت الزوايا باحترام وتقدير، فخطبت الملوك ودها، وساعدوها على أداء وظائفها من خلال نشر مبادئها وتعاليمها التي تخدم وحدة الدولة. ويمكن اعتبار العهد "الوسيطي" في تاريخ المغرب عهد انتشار الزوايا والأضرحة، خصوصا في المناطق الامازيغية كالأطلس المتوسط والكبير، فلا يخلو "دوار" أو "مدشر" أو "قرية" من ضريح أو ولي يقصده الناس للتبرك..

وكانت الزوايا - كما هو الحال في" ابزو" مثلا - تتنافس فيما بينها أحيانا، وأحيانا أخرى تتعاضد وتتعاون حسب مقتضيات الظروف. وأهم هذه الزوايا: الشرقاوية و الناصرية والقادرية و زاوية آل أمغاروالسلمانية.

أما بالنسبة " للأضرحة" - فبالرغم من تعددها - فهي لا تخرج عن ثلاثة أنواع:

الأول: أضرحة أولئك الذين لهم التزامات مع زواياهم و تكونوا بها، وأجيزوا فيها وحملوا دعوتها..

الثاني: أضرحة أولئك الذين تعلموا في القرى في "المسجد" أ و "لمسيد" أو "الكتاب"، ثم تابعوا دراساتهم في (القرويين) بفاس أو (اليوسفية) بمراكش، وبعدها انتشروا في كل البقاع، وحملوا مبادئهم يبثونها في كل مكان يصلون إليه، وأغلبهم يقيم فيه إلى حين وفاته.

الثالث: أضرحة (مائة المارقين والدجالين) الذين استغلوا سذاجة العامة فمارسوا عليها كل أشكال التسلط من أجل تحقيق السيادة لأسرهم وعشائرهم، وتعاملوا مع الدين بالشكل الذي يحافظ على مصالحهم.

العامل المعرفي:

من البدهيات القول بأن من يملك المعرفة يمتلك السلطة، خاصة في المجتمعات "الغير كتابية" و"البدائية"، إذ يبدو أن لا حدود لسلطة مالك المعرفة. ومن ثمة كان الولي الصالح /العارف يحظى بالاحترام والتقديس، فهو من كان "يبين" و "يفسر" و "يلقن" و"يوجه" و"يفتي" و"يقضي"... إنه المعلم والمرشد والقاضي.

وعندما يتفشى الجهل والفقر ويغيب كل حس نقدي، يسقط الإنسان "الضعيف" بسهولة بين براثن كل مشعوذ أو دجال يدعي الفقه والمعرفة ويصبح عبدا له. و لهذا كنا نجد عند أهل "ابزو" إيمانا راسخا وصلبا بالفقهاء والدجالين، وحتى من يدعي معرفة أسرار السحر والجن. ونجد عندهم أيضا، تداخلا في تصورهم بين المعرفة الفقهية الدينية وبين ممارسات التدجيل والسحر. وقد جرهم هذا التداخل في كثير من الأحايين إلى أن يسقطوا - بدون وعي - في "الوثنية" المتمثلة في عبادة الأحجار والأصنام والأشجار وعيون الماء.

ويحيلنا التفكير في هذه الممارسات إلى جذورها التي تعود إلى مرحلة تاريخية موغلة في القدم. وهي المرحلة التي اصطلح على تسميتها بالمرحلة "الأمنيسية" (إضفاء الحياة على الطبيعة). يقول "جاك بيرك" في كتابه "الكتلة": "La masse" : "أول شيء يميز العامة بساطة المزاج، وجهل مركب في أمور الاعتقاد مع حرص شديد على الأعراف والتقاليد المخالفة لما جاء به الإسلام من تنظيمات في مضمار التشريع والاجتماع، فتكون العامة

المقصودة هي الفئات الشعبية الجاهلة والأمية الذي يذكر حالها بالجاهلية والوثنية التي كانت عليها أحوال العرب قبل الإسلام." (14)

ويرسم لنا "حسن الوزان" صورة عن الأشخاص الذين يدعون الصلاح والبركة في شهادة مثيرة تعود إلى القرن السادس عشر، فيقول: "يهيم الكثير من الدجالين في إفريقيا عراة مكشوفي العورة، وهم على درجة منحطة من عدم الاعتدال والاحترام الإنساني، بحيث يضاجعون النساء أحيانا في الساحات العمومية كما تفعل البهائم، ومع هذا يعتبرهم العامة من أولياء الله الصالحين، "(15). وهذه الصورة يؤكدها "عبد الله نجيمي" في حديثه عن العامة في القرنين 16 و17 حيث يقول: "كل النصوص الأدبية المتبقية في العهد السعدي، تقدم لنا صورة عن الحياة الدينية للتشكيلة العريضة من المجتمع والتي اصطلح على تسميتها ب "العامة" هذه الصورة المتسمة بتفشي الجهالة وقلة الاعتناء بالدين، والتغيير في الملة، وشيوع المناكر والبدع"15.

ومما لا شك فيه أن فئة عريضة من المجتمع المغربي عامة - و "البزيوي" خاصة - ما زالت تحمل في دواخلها عقلية العصور الوسطى رغم الطفرة التي عرفها المغرب في مجال المعرفة، فالإيمان بالخرافة والشعوذة يبقى حاضرا وبقوة في كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية، خصوصا في البوادي والمدن ذات الطابع القروي..

2- الدلالات الرمزية للهدي المرافق لزيارة الفضاءات المقدسة.

جرت العادة أنه عندما يزور ذو حاجة فضاء مقدسا أن ينذر على نفسه حمل هدي إذا ما قضيت حاجته. وأيضا، جرت العادة قبل أن يدخل الزائر هذا الفضاء أن يتمسح به أويقبله أو يخلع نعليه تدليلا منه على الاحترام والتقدير لهذا المزار. فإذا كان ضريحا فعلى الزائر أن يزيل نعليه. وخلع النعلين هو "رغبة في التطهير والتبرك والتزكية، هكذا في التراث العربي القديم، والسّامي عموما." (16).

أما فيما يتعلق بالنذور التي يتوجب على الزائر أن يفي بها متى قضيت حاجته، بمنطقة " أبزو"، فلا تخرج عموما على هذه الأصناف:

---

(13)- سيريل بيرت، علم النفس الديني، ترجمة سمير عبده، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت. ط/1. 1985.

(14)- محمد بن الحسن الوزان، وصف إفريقيا.

(15) - نفسه.

(15)- نفسه.

(16)-علي زيعور. التحليل النفسي للذات العربية، الطليعة للطباعة والنشر بيروت-لبنان. ط/3. فبراير 1982 .ص.143.

1 -**الماعز** :"وهو حيوان يوحي بالشؤم لارتباطه بالجن " (17)، إذ نجد في العديد من القصص والحكايات والأحداث التي تروى بالمنطقة أحاديث عن عفاريت وشياطين تتخذ صفة هذا الحيوان ، ربما لأنه ، كما يعتقد ، " غير محتشم، أو غير مغطى العورة عكس الغنم الذي هو حيوان شريف، وأقرب إلى المودة وقابل أن يكون بديلا ممتازا للإنسان وحاملا لخطياه" (18).

2- **الغنم والصوف**: "يمثل الغنم التضحية والفداء .والهدي يرتبط بالاستغفار والتكفير والتطهير. هو ارتباط رمزي يهدف لنكران الذات والتضحية" (19).

3 - **الطيور** : وهي إما دجاج أو ديك يذبح على القرب من المكان المقدس، حوشا كان أو ضريحا أو عين ماء.. وهذا الهدي تصنع منه وليمة يدعى إليها المارة و يأخذه أقرب شخص للمعني بهذا الهدي إلى المكان.

واختيار الطيور احتل مكانا فسيحا في عالم الأسطورة ابتداء من اعتقاد كثير من المجتمعات الأولى بأن روح الميت تتحول إلى طائر يظل هائما بين الأحياء متخذا أسماء عدة بحسب طبيعة تلك المجتمعات التي فيها هذه المعتقدات.

4 - **الذرة**: وهي مادة مقدسة. وفي "ابزو" لا تزال حاضرة في الطقس الذي يسمى"الشَّرْشَم"، والذي يقام بمناسبة "العَنْصَرَة" حيث تؤخذ الذرة والقمح ويطبخان ويقدمان كوجبة طعام للأسرة بعد أن يتم رش كل البيت بجزء منه.

5 - **الأبقار**:"هي عبادة قديمة، وتقدم قربانا للآلهة " (20) ولا زالت كذلك. وتقدم البقر كهدي لكثير من الأضرحة في "ابزو" خصوصا بالزوايا، كزاوية (سيد الصغير بن المنيار)، وزاوية (ايت أمغار)، وضريح (سيدي سعد بن ميمون)...

6 - **التين**: و له علاقة بطقوس بدائية قديمة، وهو رمز جنسي مؤنث.وكانت المجتمعات القديمة تضع التين والماء على قبر الميت ليطعم نفسه أثناء رحلته الطويلة إلى العالم الآخر.

---

(17)- نفسه. ص: 164.

(18)- نفسه. ص: 164.

(19)- نفسه. ص: 167.

(20)- حمد إسماعيل النعيمي، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام.

وقد تحول هذا الطقس إلى ما يسمى ب "الصَّدَقَة" أو "ثَلْثْ أيَّامْ". وهذه التسمية تجد دلالتها في كون النساء يقصدون المقبرة في اليوم الثالث من وفاة الشخص فيوزعون التين والخبز فوق قبره على الأطفال والمحتاجين.

7- **الشعير والحبوب:** ينثر الشعير والحبوب عند منابع المياه كما هو الشأن في "ابزو" عند الدخول إلى بحيرة "تامدة"، أو الاستحمام فوق بعض القبور كقبر "سلمان" الحاخام اليهودي المدفون بمقرة اليهودي بدوار "تكونت".

وينثر إما حبا أو دقيقا، ويسميه سكان البلدة ب »لَبْسيسَة"، وهي تحوير لكلمة "مَسُّوسَة" (أي الطحين الخالي من الملح). و يهدف هذا الطقس إلى طرد الأرواح الشريرة من المكان. كما أن هذا الطقس له علاقة بالخبز، لأن "تقديسه نابع من خوف الجوع، وعملية تربوية للحفاظ على الرزق، واحترام القدرة التي خلقته، وربط الإنسان بالدين والتعبد"[21]

8 -**التراب:** "لا يزال الناس يستحثون التراب من الضريح ويخلطونه بالماء ويضعونه فوق جباههم أو أورامهم، ويقولون إنه يعالج الأمراض الجلدية والسرطانية وصداع الرأس، ويسمونه "الحنة" ويقولون حنة "سيد الصغير". حنة " سيدي بوشتى" حنة "سيدي عبد الله"... وقد اعتبر "التراب والرماد والغبار أصل كل شيء ومآل كل شيء، ذروة الحياة في رحم الطبيعة." [22]

إن مثل هذه المعتقدات والممارسات "تؤلف نظاما من الأساطير، معقدا ومترابطا يصون وحدة المجتمع، ويعطيه أشكالا لا فكرية تتحكم بالفعاليات الاجتماعية وتمدها بالطاقة." [23].

3 - أصناف الفضاءات المقدسة.

بعد أن تتبعت الفضاءات التي تحظى بتقديس سكان "ابزو"، وبعد عملية إحصاء وجرد انتهيت إلى تصنيف هذه الفضاءات إلى ما يلي:

1- **الأضرحة:** وتلعب في " ابزو" نفس الدور الذي تلعبه في باقي الجهات، ويقول "علي زيعور" متحدثا عن وظيفة هذه الأضرحة: "إن ظاهرة تقديس الأولياء عريقة وشديدة الاتساع، والأولياء لهم القدرة على حل المعضلات، (فالولي) يُرشد ويُشفي، ويكون موئلا

(21) - Ernest casier. Langage et My the (apropos des noms allment' des dieux) les éditions de minuit, 1973. traduit de 1 par hasen love. P. 116.

(22)- احمد إسماعيل النعيمي، (مرجع سابق) ص: 228.

(23)-علي زيعور (مرجع سابق) ص170.

لأصحاب الحاجات، والشاعرين بالجور، والشاكين بالإحباط. وهم قادرون على الانتقام من السارقين، والمشككين به"..

وإذا نظرنا إلى هذه الأضرحة من حيث أهليتها و عدم أهليتها، في وقتنا الحاضر، أمكننا تصنيفها إلى ما يلي:

1-أ. أضرحة لا تزال بناياتها قائمة: وفي حالة جيدة، تحظى بالعناية، لها أتباع ومريدون سواء داخل البلدة أو خارجها يزورونها في أوقات مخصوصة أسبوعيا أو سنويا، وتقدم لها الهدايا والقرابين، والقبور فيها مصونة بشكل جيد ومغطاة بأقمشة نظيفة ومختلفة الألوان.

وهذه الأضرحة موزعة على مختلف الدواوير كما يوضح الجدول التالي:

اسم الدوار	اسم الضريح
أقرمود	سيدي بو امحمد صالح
فم تاغية	سيدي مول البرج
اغبالو	سيدي عبد الجليل مولاي احساين
ايت مولي	سيدي سعد بن ميمون
لعطف	سيدي علي ولحاج
المدرسة	سيدي امحمد
	سيدي الصغير
	سيدي بوتوالا
تكونت	سيدي ابراهيم وسعيد
وارك	سيدي مسعود وعلي
اشبارو	سيدي الطاهر مول الواد
ايت ارباضن	سيدي ايت ارباضن
إفرغس	سيدي احساين
واورينت	سيدي بوأشتا مولاي محمد
إمداحن	سيدي امحمد المخفي

1- ب : أضرحة لا زالت قائمة لكن جدرانها تآكلت: وتفتت وأصابها الخراب والدمار الناتج عن عدم العناية بها بالرغم من أنها لا تزال تحظى بزيارة سكان المنطقة:

1- ج. أضرحة انهارت منذ زمن طويل: وأصبحت عبارة عن أكوام من الحجارة يطلقون على الواحد منها اسم "الحوش":

اسم الدوار	اسم المزار
تمقديت	سيدي مقدي
لوطا (بلاد بركاش)	سيدي بوريبان
لعطف	سيدي بوهادي
اشبارو	سيدي أيت أزمور
إفرغس	سيدي احساين البهلول
إمداحن	سيدي بويسمسال
النزالة	سيدي عبد المولى

1- د. قبور الشرفاء: وحولتها العامة إلى مزارات، وأضفت عليها صفات التقديس. ونجدها بالخصوص بدوار المدرسة: (سيدي عبد الرفيع، سيدي الخديم). و بدوار باحي (سيدي الحاج بن دادس، سيدي مالك.

اسم الدوار	اسم الحوش
ايت مولي	حدو أومازوز
باحي	سيدي مالك
	سيدي أحمد
الملاح (تكونت)	سيدي عبد الله
	للارحمة
زالكن	سيدي بوصباغ
	سيدي عبد ربه

1- هـ : **الأضرحة التي أزيلت** من مكانها بسبب توسعة الطريق مثل: "سيدي جعفر" بـ "دوار المدرسة"، وكان مزاره وسط الشارع الرئيسي للبلدة. و"سيدي وِيس" ، وكان عبارة عن حوش كبير في الطريق المؤدي إلى الملاح، و"سيدي بو القنادل" بـ "إفرغس"، وهو لا يبعد إلا بثلاثين مترا عن ضريح "سيدي احساين البهلول" الذي لا يزال قائما، ولكنه آيل للسقوط.

1- و: **أصناف أخرى من الأضرحة:** وهي عبارة عن بنايات لا تحتوي على قبور، وإنما على حفرة واسعة وسط الغرفة وبعض الأفرشة للجلوس، كالذي يطلقون عليه "ضريح سيدنا جبريل"، و ضريحان آخران، الأول في دوار "واورينت" والثاني في دوار " الزنكور".

ويتداول أهل "ابزو" أسطورة طريفة حول هذه الأضرحة الفارغة، تقول بأن الله عندما خلق آدم والملائكة وسيدنا جبرائيل، أنزلهم الأرض واقتسموها فيما بينهم مناصفة. لكن آدم استغل ظلام الليل فقام بتغيير الحدود بضم أراضي جديدة لأملاكه، وفي الصباح عندما استيقظ جبرائيل لاحظ بأن الحدود قد تغيرت، فيزجر آدم على ألا يتمادي في سلوكه المشين هذا. ولما رأى أن آدم لم يتعظ تخلى له عن كل الأرض طواعية، وطلب منه فقط أن يبني له ضريحا ليكون مزارا لمن لا تستهويه ملذات الدنيا، وكان له ما أراد.

2- **الأشجار:** يقدس سكان المنطقة ثلاثة أصناف من الأشجار: الزيتون البري، والتين والسدر. فالزيتون البري يوجد بجوار حوش "سيدي محمد الشلح" بدوار "فم تاغية" وبجوار ضريح "سيدي مالك" بدوار "باحي". والتين قرب ضريح "سيدي بوتوالا" بـ"المدرسة"، والسدر قرب حوش "سيدي عبد الله" بـ"الملاح" و"سيدي محمد المخفي" بـ"إمداحن"...

3- **عيون الماء:** حظيت منابع المياه أيضا، بالتقديس وأقيمت حولها طقوس مختلفة مرتبطة بالزواج أو المرض... كعين "للارحمة" ببحيرة "تامدة"، وعين "للاعزيزة" بـ "دوار المدرسة". وقد جفت هذه الأخيرة منذ زمن طويل.

4- **الكهوف والمغارات:** من أشهرها، الكهوف الصغيرة المحفورة طبيعيا في الصخور بمدخل بحيرة "تامدة"، وكهف في الجبل المطل على دوار"أقرمود" ودوار"المدرسة" ويسمى "سيدي بَرْكْمْ" ، وكهفان صغيران بالطريق الرابط بين دوار "اقرمود" و"عين للاعزيزة"، الأول يسمى "امبارك الكوش" والثاني "للارحمة بنت الكوش".

5- **آثار حيوانية وآدمية:** وهي آثارات رسخت على الأحجار الكلسية وتعود إلى أزمنة غابرة مثل "عفست السرحاني" ببحيرة تامدة. و"إضَرْن انعلال": (رجلي علال) بـ"إمداحن".

ولعل السؤال الذي يطرح نفسه أمام كثرة هذه الأماكن المقدسة بهذه المنطقة الصغيرة هو: ما دلالة كل هذا؟

فأولا يمكن أن نذهب مع الطيب التزني في قوله: "في مجمل تاريخ الأسطورة تكونت لدى الناس البدائيين، إن بشكل غامضي، ومن خلال الموقف العملي اليومي المباشر حقيقة جوهرية، هي أن الأشياء الطبيعية كالأشجار والأحجار والماء والمطر التي لها علاقة يومية مباشرة. ووجودها المستقل عن وجودهم، وخارجة عنه، بالطبع إذا كانت هذه الحقيقة غامضة لدى أولئك الناس البدائيين. وإن تكن قد برزت لديهم بشكل أساسي من خلال ممارستهم العملية اليومية التلقائية والبسيطة، فإن هذا لا يؤدي إلى إنكار وجودها، ولقد ساهم في إبراز وترسيخ تلك الحقيقة في ذهن أناس المجموعات البشرية البدائية عاملان أساسيان هما: الممارسة الإنتاجية، وظاهرة الموت".[26]

وثانيا لا يمكننا إلا أن نرى مع "علي حسن" أن تقديس الأولياء ظاهرة قديمة يمكن إرجاعها إلى مرحلة الاستقرار وبداية الحضارة، والاستقرار لا يعني فقط الارتباط بالأرض (الزراعة)، بل يعني أساسا استقرار وسيلة كسب الإنسان لعيشه بشكل أمنا له مراكمة معارفه الزراعية والتقاله من جيل إلى آخر، هذا الاستقرار أدى إلى استقرار روحي ونفسي: روحي يتمثل في البحث عن إجابات لأسباب التحولات الطبيعية في السحر والميثولوجيا، الديانة القديمة، ونفسي يتمثل في ميلاد الأسرة أساسا، الزواج الأحادي، أعني رجل لامرأة.[27]

وأخيرا يمكننا أن نقول مع "علي زيعور" أن ظاهرة تقديس الأضرحة: "بقية من عبادة الأسلاف الوثنية تستلزم توقفا في محطتين: تقديس الأرواح أو الموتى، ثم وجود هذه في أماكن مرتفعة، والعودة إلى التراث الأسطوري وحده يفسر لنا هاتين النقطتين المتلازمتين، ففي المعتقدات القديمة لا تبعد أرواح الموتى كثيرا عن الأماكن السكنية أولا، وهي ثانيا تقطن المرتفعات لتوجه من هناك أمور الأحياء وتأخذ منهم وتعطيهم." [28]

4 -الطقوس والشعائر المرافقة لزيارة الفضاءات المقدسة.

إن الزائر للفضاءات المقدسة في البلدة يقوم بشعائر، وطقوس تختلف باختلاف هذه الفضاءات، وباختلاف الأهداف المتوخاة من الزيارة. إذ يكاد يكون لكل نوع من المزارات

---

(26) – طيب تيزيني، مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط، دار دمشق، سوريا، ط 1.1996، ص:93.
(27) - علي حسن، مرجع سابق ص:93.
(28)- علي زيعور (مرجع سابق).

أعرافه وتقاليده المميزة في التقدم والتوجه إليه للحصول على بعض منافعه وبركاته ، بل إن كل ضريح أو زاوية أوغار أو شجرة مقدسة تستلزم من القاصد سلوكات مميزة وأنواعا خاصة من الهدي ودعوات محددة ...

1. **الزوايا:** (و بقايا الزوايا): يتم قصدها إما للتبرك أو طلب حاجة، وعلى الزائر أن يحمل معه ما يسمونه بـ"الزيارة" ، وغالبا ما تكون قطعا من السكر أو الثمر أو الشمع. ويسمون هذه الأخيرة بـ"الضو" (الضوء). ومن الزوار من يقيم داخل هذه الزوايا يومًا أو أسبوعًا أو ستة أشهر أو سنة.

ومن هذه الزوايا: زاوية أيت أمغار بدوار "اغبالو"، "زاوية سيدي أحمد المخفي" "بإمداحن" "زاوية سيدي الصغير بن المنيار" بـ"المدرسة"..

2. **الأضرحة التي لا تزال قائمة:** على الزائر قبل الدخول تقبيل جدار الباب(وتقبيل الجدار هو اعتراف له بالتميز والاحترام والتقدير)، ونزع الحذاء. وبعد الدخول إلى الضريح يقبل الشاهدين ويجلس إلى رأس القبر ثم يطلب حاجته.

والملاحظ أن لكل ولي دعاء مخصوص. فـ"سيدي بوريبان" الموجود بـ"بلاد بركاش" يستعطف بعبارة: "أسيدي بوريبان أمطوع الثيران" (مختص في علاج الحيوانات). و"سيدي الصغير بن المنيار" يستجار به بهذه العبارة: "أسيدي الصغير بو عسرية ادخلتك بالنية"..

وبعد الدعاء تقام الطقوس. وتختلف باختلاف المقصود، فإذا كان هو الاستشفاء من مرض كصرع الأطفال (بكاء الأطفال المتواصل أثناء الليل) فنجد ثلاثة أشكال للعلاج:

1 – يمرر الطفل من ثقب في جدار الضريح ثلاث مرات، وذلك بين امرأتين: واحدة في الداخل والثانية خارج الضريح. وقد جرت العادة أن يقام هذا الطقس في "سيدي احساين" بـ"إفرغسن"...

2 – يمسك الطفل من قدميه ويدلى في البئر كما هو الشأن بضريح "سيدي أبو محمد صالح" بـ"أقرمود"، و "مولاي احساين" بـ"اغبالو".

3 - يترك الطفل في الكهف وحده بينما ينتظره ذووه بالخارج ، فإذا صرخ الطفل فإنهم يؤمنون بشفائه، وإذا سكت فإنهم يعتقدون انه منذور للموت.

وإذا كان العلاج المراد هو التخلص من مرض السرطان أوالأورام أوالأمراض النفسية، فالطقوس تتم بطرق مختلفة، كأن يطلى القبر بالحناء وتوقد عليه الشموع، وتشعل النار وتلقى فيها البخور، ويستلقي المريض نصف يوم داخل الضريح. هذا إذا كان الزائر مجاورا للضريح، أما إذا كان قد قطع مسافة طويلة فإنه يضطر لقضاء يوم بكامله داخله، وترافقه أسرته ويهيئون طعامهم وكل حاجاتهم بالضريح.

وإذا كان المصاب يعاني مرضا مزمنا (مرضًا عقليًا ونفسيًا) فإن الأسرة تأخذه إلى الضريح ويبقى فيه إلى أجل غير محدد، أو كما يقولون: "حتى إطَلّقُ السيد". وعاينت هذه الظاهرة في ضريح "مولاي احساين" بدوار "اغبالو" إذ صادفت شابة جاءت بها أسرتها لأنها تعاني من مرض نفسي، وتركتها أسرتها بالضريح لثلاثة اشهر، و كانت تعنى بها السيدة المكلفة بالضريح. وهذه الظاهرة لا تزال منتشرة بضريح "سيدي محمد المخفي" "بإمداحن". وإلى وقت قريب بضريح "سيدي الصغير بن المنيار"، وغيرهما من الأضرحة.

وتنتهي الزيارة دائما بالنذر، إذ يأخذ الزائر على نفسه عهدا بإحضار هدي للولي الصالح إذا ما قضيت حاجته، فيكون الهدي "طيرا داجنا" أو "خروفا" أو "عجلا" بحسب الموقع الإجتماعي للمريض وأسرته.

كما تنتشر ظاهرة كتابة "الحرز" باعتباره تميمة أو تعويذة توظف لمواجهة المرض أوالإحباط. يقول علي زيعور: "يكتبها الفقيه أو القائم على الضريح إما للمفزوع من النوم أوالملذوغ أو المصاب بالعين، الحمى، الأوجاع، عسر الولادة وترتكز على الآيات المقدسة والأحاديث النبوية أو أرقام وحروف..." (29)

5 -البركات المنسوبة إلى الفضاءات المقدسة.

قبل الحديث عن أهم البركات المنسوبة إلى الأولياء الصالحين في "ابزو" نطرح السؤال التالي: ما المقصود بالبركات؟ وما موقف الإسلام منها؟ وما علاقتها بالعقيدة الإسلامية؟

يعرف علي عزيمر "الكرامات بأنها هي تلك القوى التي تتعامل مع اللا مرئي، استباحت كل سببية وكل قانون طبيعي." (30)

وفيما يتعلق بوجودها أو امتناعها، فيقول محمد خليل: " لقد تواترت نصوص الكتاب والسنة، ودلت الوقائع قديما وحديثا على وقوع كرامات لله ولأوليائه المتبعين لهدى أنبيائهم. والكرامة أمر خارق للعادة يجريه الله على يد ولي من أوليائه معونة على أمر ديني أو دنيوي، ويفرق بينها وبين المعجزة بأن المعجزة تكون مقرونة بدعوى الرسالة بخلاف الكرامة." (31)

ويقول الشيخ ابن تيمية: "وفي أصول أهل السنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات والمأثور عن سالف الأمم." (32)

---

(29) - نفسه، ص: 140.
(30) - نفسه، ص: 173.
(31) - حمد خليل، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام بن تيمية، مطبوعات الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ص: 124.
(32) - نفسه، ص: 125.

والحقيقة أن الكرامات وقائع نفسية تعود لزائر الضريح قصد قضاء حاجته أكثر مما تعود إلى صاحب الضريح..

وإذا تتبعنا الكرامات التي خصت أو نسبت إلى الفضاءات المقدسة بـ"ابزو"، سنلاحظ أن كل ولي خص ببركة أو كرامة مخصوصة ومعينة، وفيما يلي نماذج من هذه الكرامات:

الكرامة	الولي	الدوار
1. شق الأنهار وإحياء حيوان ميت	سيدي سعد بن ميمون	ايت مولي
2. السفر إلى المشرق والعودة في نفس اليوم	سيدي ايت ازمور	اشبارو
3. المشي فوق الماء	سيدي الصغير بن المنيار	المدرسة
4. معالجة الأمراض الحيوانية	سيدي بوربان	بلاد بركاش
5. إسقاط المطر	سيدي بوعجاجة	المدرسة
6. الاشفاء من السحر الذي يتسبب في العنوسة.	(قبر سلمان اليهودي) للارحمة	الملاح (المدرسة) تامدة (باحي)

7 - كرامات تكاد تكون مشتركة بين العديد من الأولياء:

أ- معالجة الأمراض النفسية والجسدية: "سيدي بوشتى" بـ "ايت أرباضن" "سيدي احساين" بـ "إفرغس"... إلخ.

ب - قضاء حاجات دنيوية كالتجارة والفلاحة: "سيدي ناجي" بـ "باحي"، "سيدي مولاي امحمد" بـ "واورينت"... إلخ.

وإذا نظرنا في طبيعة هذه البركات نجد أنها مرتبطة بكل أولياء المغرب، مما يعني أنها ظاهرة عامة لا تخص منطقة دون أخرى. وقد أورد "بن عيوش الشراط"في "الروض العطر الأنفاس في أخبار الصالحين من أهل فاس ثلاثين كرامة".(33)

(33)-مجلة تاريخ المغرب، السنة 19 رجب 1420، أكتوبر 1999، العدد 09.

6 - نماذج :

"سيدي إبراهيم وسعيد"

المكان: "دوار تكونت".

الوصف الخارجي: ضريح مبني من الطين، سقفه من القصب وجذوع الأشجار وأرضيته نظيفة، له باب خشبي قديم، ويوجد داخل مقبرة قديمة لم يعد لها وجود الآن.

الوصف الداخلي: يوجد داخل الغرفة قبر من الإسمنت مغطى بأغطية خضراء، وعند قدميه توجد حفرة صغيرة يفرغ فيها الماء ويشرب، وعلى الجدران بقايا شموع وحناء..

أوقات الزيارة: يمكن زيارته كل يوم، ويستحب أن تكون الزيارة يوم الخميس.

البركات: يعالج "التولال" وأوجاع المفاصل، وصداع الرأس، والأطفال الذين يبكون كثيرا أثناء الليل.

ويحكى أن ماءً كان يخرج من حفرة كانت في الضريح، وأن امرأة أخذت ابنها الذي كان يصرخ كثيرا في الليل لتنام معه هناك لمدة أسبوع، فلما اقترب موعد الصراخ سمعت داخل الضريح صوتا يشبه نباح الكلب، فخاف الطفل ونام فورا. وكانت تلك آخر ليلة يصرخ فيها.

ولتكتمل طقوس الزيارة على الزائر أن يشعل الشموع بشكل دائري ويصب الحناء فوق القبر، ثم بعد ذلك يطلب حاجته.

"للارحمـــة"

المكان: بين دوار "باحي" و دوار "المدرسة".

الوصف: عبارة عن عين ماء تتدفق من بين الصخور، وتصب في بحيرة "تامدة".

الزيارة: في كل يوم، ويستحب أن تتم يوم الخميس أو الجمعة أو الأحد، وتمتد على مدى ثلاثة أسابيع.

البركات: تقصدها الفتيات العوانس اللواتي لم يسعفهن الحظ في الزواج، فيغتسلن في مائها ويتركن بعض ملابسهن الداخلية وخصلات من شعرهن والمشط بعد أن يوقدن الشموع ويضعن بعض قطع السكر والتمر بالقرب، وقبل ذلك كله عليهن أن يقمن بإلقاء "لبسيسة" (وهي عبارة عن قمح وطحين) بمدخل العين.

كما أن الاغتسال فيها يشفي من بعض الأمراض الجلدية ويزيل السحر.

"مـولاي احسايـن"

المكان: "دوار اغبالو".

الوصف الخارجي: منزل فخم، واسع و"مبيض"، يوجد داخل المقبرة، ويبدو كأي بيت عادٍ.

الوصف الخارجي: يوجد ضريح" مولاي احساين" داخل غرفة، وهو والد "مولاي إبراهيم" المشهور بمنطقة مراكش بـ "طير لجبال"، قبته خضراء مفروشة بالزرابي، والسقف من الخشب قائم على أعمدة منقوشة، مجهز بالكهرباء، وبه بئر ماء. والقبر محاط بسياج مغطى بأثواب حمراء. وتتدلى من السقف مصابيح جميلة. وعلقت على الجدران صور وساعات مختلفة الأشكال. ويتواجد شخص "المقدم" باستمرار، يقيم على الضريح ويعمل على استقبال الزوار.

أوقات الزيارة: طيلة أيام الأسبوع. وبعض "المريدين" يفضل يوم الاثنين والجمعة، واليوم السابع والعشرين من رمضان الذي تقام فيه (الحضرة) ويقصده الناس من كل مكان.

البركات: ينسب إليه معالجة الأطفال من "الجعرة" (الصراخ في الليل)، إذ يمسك الطفل من قدميه ويدلى به في البئر ويتركه ليصرخ لمدة معينة، وتتكرر هذه العملية ثلاثة أسابيع. ويقال أيضا، أن الاستحمام بماء بئره يشفي من الالتهابات الجلدية، وأمراض المفاصل، والأورام....وتقصده النساء اللواتي يعانين من سقوط الأجنة ليستجرن به، وتسمى هذه العملية ب (التّسْنيدَة). ولكي تحبل المرأة عليها أن تنفذ بالحرف الوصفة التي يكتبها لها المقيم على الضريح، وأن تنذر على نفسها نذرا توفي به إلى الضريح إذا قضيت حاجتها. كما تقصده العوانس ليساعدهن على الزواج، والنساء العاقرات لينجبن فيحملن معهن الثمر والدقيق ويتناولن فطورهن فيه لمدة سبعة أيام..

وكان يخص الولي "مولاي احساين" الذي يعتبر المؤسس لزاوية أيت أمغار ب"أغبالو" / "ابزو" بموسم سنوي تجتمع فيه قبائل المنطقة تقدم فيه الهدايا وتذبح الذبائح وتوزع بين الأشراف الأمغاريين.

"سيدي سعد بن ميمون"

المكان: دوار "أيت مولي".

الوصف الخارجي: غرفة من طين مستطيلة الشكل ولها باب خشبي، أمامها سدرتان وشجرة زيتون، سقفها من القصب وجذوع الأشجار، وإلى جوارها بنيت حجرة صغيرة بها مغسل ومرفع..

الوصف الداخلي: الحائط مبيض بالجير، وبه قبران: يقال أن الثاني لوالدته. وإلى جوار قبره إناء من طين مطلي بالحناء.

أوقات الزيارة: يوم الأحد ويوم 27 رمضان.

البركات: يعالج الأطفال الذين يصرخون، وذلك من خلال إدخالهم وإخراجهم من ثقب في الجدار ثلاثة مرات. ولكي يتم العلاج على أحسن حال فلا بد من المداومة على زيارته ثلاثة أسابيع متتالية.

يحكى عن بركاته أنه كان يملك بقرة يرسلها لترعى مع القطيع، وذات يوم جاءه ضيوف فذبحها لهم، وبعد الانتهاء من الأكل طلب من الضيوف أن يجمعوا عظامها، وفي الصباح جاء الراعي ليأخذ البقرة، بالرغم من أنه يعلم بما جرى (وهو يقصد التهكم)، فدخل الولي الصالح فصاح في العظام فتحولت إلى بقرة.

ويحكى أيضا، أن أهله زاروه في يوم ممطر، وكان نهر "وادي العبيد" الذي يمر بالقرب من الدوار فائضا وحجزهم على الضفة الأخرى، فضرب النهر بعكازه فانشق، فعبر أهله ثم التأم النهر من جديد.

ومن بركاته كذلك معالجة الأطفال القصار القامة، والشلل والأمراض التي تصيب الحيوانات كالسعار و"التوحش". فإذا أصيب حيوان ما يؤخذ التراب من الضريح ويوضع في كيس صغير ويعلق في عنقه، فيشفى.

وكان يقام له موسم سنوي، يحتفل به تذبح فيه القرابين وتوزع بين عائلات القبيلة.

"سيدنا جبرايل"

المكان: دوار واورينت.

الوصف الخارجي: غرفة مبنية من الطين، لها باب خشبي، سقفها من القصب وجذوع الأشجار، لا تزال في حالة جيدة مما يظهر مدى العناية بها.

الوصف الخارجي: وسط الغرفة توجد حفرة عميقة محاطة بالأحجار يصب فيها الماء ويخلط بالتراب، ثم يشرب أو يدهن به الجلد. ولا يوجد بالغرفة قبر. (والغريب أن مثل هذه الأضرحة منتشرة في المنطقة).

وتقول الأسطورة أن الله عندما خلق آدم والملائكة وجبرائيل قسم الأرض بينهم، وفي الليل كان سيدنا آدم يتعدى على أملاك جبريل بتغيير الحدود ، فنبهه جبرائيل أن هذا

العمل قبيح ومنكر، لكن آدم أصر على فعله، وهنا قام سيدنا جبرائيل وتخلى عن جميع أملاكه لآدم واشترط عليه أن يبني له مقاما ليزار ويأخذ الناس منه العبرة.

أوقات الزيارة: لا أوقات محددة خاصة بالزيارة.

البركات: يقصده الناس للاعتبار، وليدركوا أن الحياة فانية وزائلة ولابقاء إلا للعمل الصالح وأفعال الخير. كما يقصده الناس لمعالجة الأمراض الجلدية..

"سيدي مالك"

المكان: دوار باحي.

الوصف الداخلي: توجد داخل الضريح أربعة قبور: في الوسط قبر الولي الصالح وعن يمينه قبور أبنائه الثلاثة، جدرانه مهترئة وسقفه آيل للسقوط، وقد علقت عليه خيوط من مختلف الألوان والأشكال. كما توجد في الجدار حفرة توقد فيها الشموع أو القناديل وتوضع بها قطع السكر والبخور. وعند رأس القبر حفرة أخرى يصب فيها الماء ويخلط بالتراب ويشرب، وأرضيته مليئة بالقاذورات والأوساخ.

الوصف الخارجي: بناية قديمة عبارة عن غرفة توجد داخل مقبرة الدوار. لها باب خشبي قديم ، وسقفها من القصب وجذوع الأشجار.

أوقات الزيارات: طيلة الأسبوع، وبالخصوص يوم الجمعة ويوم 27 رمضان.

البركات: يعالج "التولال" (أورام صغيرة) والأمراض الجلدية، وتقصده النساء لمعالجة أطفالهن الذين يأكلون التراب أو الفحم أو قطع الجير. تقام فيه "الحضرة " كل سبعة أيام بعد عيد المولد النبوي. ويقصده مربو الماشية ليحفظها لهم من الأمراض، والتجار ليساعدهم على نماء تجارتهم. وتقصده النساء المقبلات على فطام أطفالهن. وله بركات عديدة كالإشفاء من أمراض البطن والأورام. ويقام له موسم سنوي.

"سيدي مول البرج"

المكان: دوار "فم تاغية" .

الوصف الخارجي: منزل عادٍ كأي منزل بالدوار، جدرانه من الطين وله باب حديدي.

الوصف الداخلي: يوجد الضريح داخل قبة مفروشة، وعلى الجدران ساعات حائطية جميلة ومتنوعة، وصور لعيسى ومريم وغيرهما من القديسين والأحبار، وزينت الحجرة بشكل بديع، وتوقد فيها الشموع يوميا من قبل امرأة مكلفة به.

الزيارات: لأنه ضريح خاص باليهود ، فهم يزورنه كلما سنحت لهم الفرصة بذلك. ويقام له موسم سنوي يأتي إليه اليهود من كل أنحاء المغرب ومن خارجه.. ويحظى أيضا بزيارة المسلمين (وكأنه ولي مشترك). وتكون الزيارات في كل الأوقات وأيام الأسبوع.

البركات: لا ينسب إليه شيء من البركات، ويقال أن الماء كان ينبع من رأس قبره وأن زائره يتخلص من كل أنواع السحر.

"سيد الصغير بن المنيار"

المكان: دوار" المدرسة".

الوصف الخارجي: غرفة بابها من الخشب، سقفها من القرمود، تحيط به من الغرب حدائق وبساتين، وتجري بالقرب منه ساقية تحمل اسمه.

الوصف الداخلي: أرضيته من الزليج، أما القبر فهو عبارة عن صندوق خشبي يسمى: "الدربوز"، لا توجد به رفاة، لأن جثة دفينه (الولي) نقلت إلى زاوية جده بـ"أكرط".

ويقال أنه عندما مات وقع جدل كبير بين أسرته وسكان" ابزو" كاد أن يؤدي إلى التطاحن، فعاد الولي إلى الحياة وخاطب أهل ابزو قائلا: "الجثة هناك، والروح هنا".

و تغطي الصندوق الفارغ أغطية خضراء، بعضها كتب عليها سور قرآنية. وداخل الغرفة، بجوار الضريح، قبور بعض الشرفاء. وتوجد به كذلك مكتبة الولي وعكازه وبرنسه وأغراض أخرى..

الزيارات: جميع الأيام وخصوصا يوم الخميس، ويقصده الناس في ليلة هذا اليوم من جميع الدواوير، ومنهم من يقضي الليلة فيه. ويزار أيضا يوم ٢٧ رمضان.

ومن عادات سكان المنطقة أن يكون الضريح آخر ما يزوره القاصدون للحج. وبعض الأسر تأتي بأبنائها المقبلين على الختان إليه. ويقام له موسم سنوي تقدم فيه الذبائح والهدايا.

البركات: يساعد الضعفاء والمحتاجين، ويلبي طلب من دعاه ليشفى من مرض أو علة. وكان سكان المنطقة يأخذون أبناءهم إليه ليلة الامتحانليناموا فيه. ويشفي من داء الصرع بعد أن يقضي فيه المريض ثلاثة أيام متتالية. وتنسب إليه بركات كثيرة منها: أن رجلا كان يسقي بستانه فأصابه مس من الجن ولم يعد يعرف أحدًا من أهله، فذهب أخوه إلى الولي" "سيدي الصغير" فحكى له ما جرى، فأعطاه رسالة إلى كبير الجن وعين له المكان الذي سيجده فيه، فانتظر حتى حضر فأعطاه الرسالة فخلصه كبير الجن من مرض أخيه.

ويقال كذلك أنه يعطي طلبته ورقة يكتب فيها "باسم الله الرحمان الرحيم": فيعبرون نهر "وادي العبيد" دون بلل. ومن أشهر بركاته أنه قفز على جواده من فوق فج عميق عرضه 20 كلم ونزل ببحيرة "تامدة" حيث لاتزال آثار حافر فرسه منقوشة على صخرة بهذه البحيرة وتسمى "اعفست السرحاني" بمعنى (حافر الفرس) ويقدسها أهل البلدة ويخصونها بطقوس (لبسيسة: خليط من القمح والذرة والدقيق وخالية من الملح). ومن المشهور عند قبيلة "أيت بوعلي" أنه يجلب لهم الأمطار.

سدرة "سيدي امحمد المخفي"

المكان: "امغياي".

الوصف: شجرة سدر على القرب من ضريح سيدي "امحمد المخفي".

الزيارات: أيام الثلاثاء والسبت والأحد.

البركات: تقصدها الفتيات العوانس رغبة في الزواج والتخلص من السحر المسمى بـ"العكس" واتقاء العين. ولكي تبلغ الزائرة المقصود عليها أن تستحم وتغتسل جيدا، وتمشط شعرها وترتدي ثيابها ثم تقصد السدرة لتعلق بها ما تبقى في المشط من شعر "لمشاكة" وبعض ملابسها الداخلية. وإذا كانت الزائرة تعاني من أوجاع الرأس، فإنها تدهن رأسها أو جبهتها بالحناء (طين ممزوج بماء)، وعندما يجف تعلق به قطعة الثوب التي كانت تشد بها رأسها، كما تعلق على السدرة كل ما من شأنه أن يخلص الزائرة من "التابعة" والآلام النفسية والجسدية.

"سيدي بركم"

المكان : بين دوار "اقرمود" ودوار "المدرسة".

الوصف: كهف في جبل عال يشرف على دواوير عديدة.

الزيارات: يوم الأحد.

البركات : يقصد هذا المكان الأشخاص المصابون بالأمراض النفسية، والذين يعانون من الكوابيس أثناء النوم، فهو يشفي النساء من الكآبة والوسواس وذلك بالاستحمام في بركة قرب، و يقضي على كل أنواع السحر، و يشفي الأطفال الذين يعانون من الشلل والأمراض المستعصية.

وقد جرت العادة في هذا الإطار أن يصب الماء في حفرة موجودة داخل الكهف ويتركونه لعدة دقائق، بعدها يصبونه على الطفل المريض وتبتعد عنه والدته ببعض الأمتار، فإذا صرخ الطفل فإنه سيحيا، وإن هو لم يصرخ فإنه سيموت.

الفصل الثاني
عادات وتقاليد

تمهيد

تقوم الثقافة القروية على النقل الشفهي والجماعي. ويعتبر الكثير من الباحثين هذه الخاصية عائقا أمام انتشار هذه الثقافة في المكان واستمرارها في الزمان، باعتبارها تعبيرا آنيا لحظيا وتلقائيا عن حاجيات المجتمع المتنوعة (نفسية ، اقتصادية، سياسية، ثقافية..) في مرحلة ما من تاريخه، ولأن هذه الثقافة تداولية وليست تدوينية، فإنها تختفي وتزول بزوال الحاجة التي أنتجتها.

إن عدم تدوين الثقافة القروية يجعلها ثقافة تعتمد على ذاتها، وتعيد إنتاج نفسها بطرقها الخاصة سعيا منها للمحافظة على تواجدها كمكون أساسي من مكونات الثقافة الوطنية، خصوصا أمام زحف الثقافة الحضرية التي تتغذى من موجات متجددة آتية من مختلف بقاع العالم، وعبر وسائط مختلفة مسموعة ومرئية ومكتوبة..

وتحدث "دوبروولسكي" عن الأسباب التي تستعملها الثقافة القروية لتحافظ على استمرارها فقال: "هناك وسيلتان للنقل الإجتماعي، الأولى تتجلى في نقل الموروث الثقافي بواسطة الكلام وباقي الأصوات كالموسيقى، مثلا، التي يمكن تلقينها عبر حاسة السمع، وكذلك بواسطة عرض الأعمال والأشياء المنظورة بالعين. وعند نقله بهذه الوسائل يكون هناك دائما اتصال مباشر بين الأشخاص، والفئة الثانية من الوسائل لها خاصية ميكانيكية وتدخل فيها الوسائل الصالحة لاستمرارية الأفكار والعطاءات الفنية للمجتمعات كالكتابة والمطبعة والموسيقى، وهذه الوسائل تخلق اتصالا غير مباشر وغير شخصي". (1)

ويضيف "دوبروولسكي" محددا خصائص الثقافة القروية في:

1- قوة السلطات (الأب والأجداد) الشيء الذي يجعل وتيرة التطور جد بطيئة.

2 – لا اسمية العطاءات الثقافية المترتبة عن العملية المعقدة للانتقاء.

- دور السحر والدين في المحافظة على الثقافة التقليدية.
- الإفتقار إلى البعد التاريخي.(2)

وإذا اعتبرنا الثقافة الامازيغية جزءا أصيلا من الثقافة القروية المغربية، فإن هذه الخصائص تنطبق عليها. وقد وظفت هذه الثقافة - ومنذ القدم مجموعة - من الوسائط

---

(1)-K. DOBROWLSKI. ya t-il une culture Extrait de la lecture paysane traditionnelle w r. Turski les informatios de la compagne polonaise.

(2) - نفسه.

التي تعبر من خلالها وتنتشر وتمتد، ويمكن حصرها في جماعات السوق والمسجد والأصدقاء (تجامعت) والبراح والحكواتين .....

ويبقى أهم إشكال يواجهه الباحث في الثقافة الامازيغية في منطقة كمنطقتنا هو هذا التداخل بين الثقافة العربية والثقافة الأمازيغية، فعندما نلقي نظرة على الدواوير التي تتشكل منها دائرة "ابزو" نجدها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

1 - دواوير ناطقة باللغة الامازيغية ويتواصل بها الأهالي في كل شؤونها الاجتماعية والاقتصادية، ولا تعرف فيها اللغة العربية إلا سماعا..

2 - دواوير ناطقة باللغة العربية، ولا تعرف اللغة الامازيغية إلا سماعا.

3 - دواوير مزدوجة تنطق باللغتين معا، وذلك بعامل الجوار والمصاهرة والهجرة.

وكان من نتيجة هذه الوضعية أن العديد من العادات والتقاليد التي تمارس في المنطقة تداخل فيها ما هو أمازيغي بما هو عربي إلى درجة يصعب معها تعيين حدود كلا الثقافتين.

1 - "تاغنجا".

من الظواهر التي كانت منتشرة بكثرة، وإلى وقت غير بعيد في الأطلس المتوسط، طقس "تاغنجا" أو "أغنجا" الذي يقام في موسم الجذب والجفاف كلما تخلف المطر أو جف الزرع والضرع. إنه الوجه الآخر لصلاة الاستسقاء.

وقد جرت العادة أن "تقوم النساء والفتيات والأطفال بالخصوص بإلباس (مغرف) كبير الحجم ومصنوع من الخشب لباس عروس، ويطوفون به من بيت إلى بيت محمولا إلى أعلى متوسلين إلى الله سبحانه وتعالى ببعض العبارات من بينها "تاغنجا يارب الرجا، يا رب اتعطينا الشتا" وتستقبلهن ربات البيوت بالرش بالمياه وإعطائهم شيئا من الدقيق والسكر وغيرهما. وبعد ذلك يقع اللجوء إلى أحد المساجد أو إلى ضريح أحد الأولياء حيث يصنع طعام خاص يقدم لكل المشاركين الذين يتفرقون بعد تناوله"[3] .

ولاحظت الباحثة "نجاة أكعبون" في مقال لها حول "المرأة في الفضاء الميتولوجي" أن هناك علاقة بين إلهة الخصب وأم الغيث (تغنجا)، وأبرزت مدى الإرتباط الموجود بين

(3)- عيسى العربي، قبيلة ايت عتاب.ص: 117

المعتقدات القديمة والمناطق الجبلية المعزولة، فتقول : " هذا الفلكلور الغيثي يظل ظلا متطورا لهذه المعتقدات (فتغنجا) بمثابة إلهة الخصب عند القدماء". (4)

2 - "تامغرا" .

العرس في المجتمع القبلي بـ"ابزو" لا تتحمل أعباءه الأسرة المحتفلة فقط، بل كل أفراد القبيلة الذين يشاركون ويقدمون يد العون بكل طواعية، مما يدل على روح المبادرة والتكافل الاجتماعي بين أفراد القبيلة الواحدة.

ويبدأ طقس الزواج في "ابزو" بزيارة أولية لبيت العروس حيث تذهب الأم أو الأب ليجمع المعلومات الكافية عن الفتاة التي سيخطبونها دون الأخذ برأي الفتى (العريس). وعندما تدرك الفتاة سبب الزيارة تختفي عن الزوار وتتحاشى أن تواجههم. وهذه رسالة منها لهم مفادها أنها خجولة ولم تعتد مجالسة الغرباء. ولأن الخاطبين يصرون على رؤيتها، فقد جرت العادة أن تقدم الفتاة الشاي لهم ثم تختفي نهائيا، وفي هذا الوقت القصير يكون الخطاب قد أخذوا نظرة عامة عنها، وغالبا ما يتم التركيز على الأعضاء التالية: (العينان، الشعر، الحواجب، الوجنتان، الوجه، الفم، القامة..) وإذا نالت الإعجاب تمت الخطوبة.

وهناك طريقة أخرى للخطوبة، وهي إرسال شخص معين من قبل أهل الشاب الراغب في الزواج إلى بيت الفتاة. فإذا قبلوا زارتهم أسرة الخطيب وحينها يتم الاتفاق على يوم الخطوبة، وعندها يتم شراء جونة (زكاوة : قفة تملأ بالثمروالسكر والحناء) ونعال ومشد (لحزام) وقميص (الدفينة)، ويقدم لأهل العروسة، ويتفق على مبلغ المال الذي سيدفعه العريس، ويتم إخبار أهل العريس بأن ابنهم هو من سيتكلف بمصاريف العرس.

بعدها يقام طقس آخر يسمونه "المطلية" يحمل فيه أهل العريس كل ما يحتاجه أهل العروسة من حاجيات ومؤن: الحطب، الدقيق، الملح، الذبيحة وتكون خروفا أو عجلا (حسب المستوى الاقتصادي لأهل العريس)، ويذبح لكل أفراد القبيلة إشهارا للزواج..

ولا يقام أي حفل في هذا اليوم (البهجة)، بل يستدعى حفظة القرآن ليقرأوا بعض السور القرآنية، بعد أن يوضع طبق وسطهم يحتوي على الخبز والتمر ودملج.. وبعد الإنتهاء من قراءة القرآن تقرأ الفاتحة ويعقد القران، ويصبح الزواج شرعيا. ويتم كل ذلك في غياب العنصرين اللذين يهمهما الأمر (العروس والعريس).

وبعدها يرفع الطبق الذي قرأت عليه الفاتحة، ويتم اقتسام محتوياته بين أهل العروس والعريس بشكل متساوٍ، خصوصا الدقيق والحناء. وهذه القسمة لا تتم قبل أن تكون العروس قد وضعت الطبق لمدة محددة تحت ركبتيها. وبعد أن يتم تناول الطعام من قبل المدعوين ويغادرون المنزل يبدأ طقس جديد هو طقس "الحناء".

وطقس الحناء هذا يبدأ مباشرة بعد عودة العريس إلى بيته، و الشيء نفسه يقام في بيت العروس. ففي بيت العريس تستدعى النساء ليخضبن أيدي العريس بالحناء نفسه التي ستخضب بها العروس يديها، وأثناء هذه العملية تردد النساء وبشكل جماعي الأنشودة التالية باللغة الأمازيغية:

إكَرْ أفُوسْ أكنْغُمْ أيّوِي

الحنا إغمت مولاي أعلي

(هات يديك يا ولدي لنطليها بالحناء

فالحناء تخضب بها سيدنا علي.)

و الأغنية نفسها ترافق طقس الحناء في بيت العروس بتغيير كلمة (إوي/ولدي) ب (إلّي/ابنتي).

وفي الصباح، يمارس طقس آخر يمكن تسميته "بطقس الدقيق"، ذلك أن الدقيق الذي تم اقتسامه تصنع به أكلة من قبل الأسرتين يسمونها "بركوكش" تتكون من الحليب والزيت والملح، وتقدم لأصدقاء العريس وصديقات العروس.. وعندما يأتي وقت "الدفوع"، وهو الطقس الأخير قبل الذهاب إلى منزل العروس لحملها إلى بيت العريس الذي عليه أن يشتري القمح والشعير والزيت والحناء، إضافة إلى مقدار من المال يقدر ما بين 3000 و4000 ريال، فيقصد بيت العروس حيث يستقبل بالترحاب. وفي اليوم التالي يقصد أب العروس أقرب سوق أسبوعي ليشتري لابنته ما ستحمله إلى بيت زوجها، وغالبا ما يكون "عباءة ووسادتين وصندوق خشبي، ومرآة..".

وفي ليلة الخميس يذهب أب العريس وأخوه أو أحد أقربائه يرافقهما شخصان آخران إلى بيت العروس لإحضارها إلى بيت زوجها، ويطلق على هؤلاء الأشخاص اسم " إملاين". وبعد تناول طعام العشاء الذي يتكون غالبا من "الكسكس" ترتدي العروس سلهاما يؤتى به من بيت العريس، وثياب والدتها، فتمتطي دابة (بغلة) ثم تساق إلى بيت أهل العريس، حيث يستقبلونها بالحليب والتمر دون الزغاريد، فيخيم صمت مطبق على المنزل فور دخول العروس إليه.

تدخل العروس، إذا، إلى غرفتها بعد أن تمشط شعرها فقط دون تزيينها، أما العريس فيرتدي سلهاما فوق لباس جديد، ويتوشح خنجرا(الكمية) ويدخل على عروسه التي تستقبله بضربه بقطعة ملح، ويحذر العريس أن تلمسه هذه القطعة حتى لا يخضع العريس لسيطرة وسلطة العروس. ويعتقد أن الملح، كرمز تقليدي، يستعمل لطرد سوء الحظ

والأرواح الشريرة، (ولهذا تلتجئ له بعض القبائل لطرد الكوابيس والأحلام المزعجة فيوضع تحت الوسادة). وعندما يدخل العريس على عروسه، فإنه يترك شخصا ثانيا أمام الباب ليلعب دور الوسيط بين العريس وأهله. يقبل العريس على عروسه وتتم الدخلة ويطلق عليه (الصباح) ربما لأن الدخلة تتم غالبا بعد منتصف الليل.

وفي الصباح يبدأ طقس جديد، تدخل أم العروس على ابنتها حاملة إناء ماء وتحثها على الاستحمام بسرعة قبل أن يستحم العريس. والسبب، كما يعتقدون، هو أن من يستحم أولا ينجب أطفالا يشبهونه. أما سروال العروس الذي توجد عليه بقع دم (البكارة)، فإنه يعلق فوق الخنجر الذي يثبته العريس في ركن من أركان الغرفة. (ولم يكن يسمح بإخراجه قبل سروال العروس كما هو الحال الآن..) .وعندما تنتهي العروس من الاستحمام يدخل الغرفة أصدقاء العريس (إسلان) وصديقات العروس التي تغطي وجهها وتقدم لضيوفها طبقا يضم الحناء والثمر والكحل، فيكتحلن ويتخضبن بالحناء، ويغادرن الغرفة. وبعدها يبدأ طقس آخر يتمثل في إخراج منديل يحتوي على ما قدره 50 بيضة و"التريد" (نوع من الفطير) ونصف كيلو من الزبيب وكيلوغراما من اللحم، فيعرض المنديل للبيع. وعندما يتوقف المزاد عند ثمن معين ، فإن كل من رغب في الحصول على شيء مما يحتويه المنديل عليه أن يدفع قدرا من المال.. وبعد الانتهاء من هذه العملية تجمع النقود وتقدم هدية للعروس.

وتبقى العروس في غرفتها مدة سبعة أيام لا تبرحها، وعليها أن تتجنب الالتقاء بأهل العريس من الذكور. كما أن العريس يبتعد عن البيت طيلة هذه المدة، فهو يدخل ليلا بعد أن ينام الجميع ويغادره فجرا قبل استيقاظهم، ولابد من الإشارة هاهنا إلى أنه طيلة هذه المدة يقدم للعروس بعض القمح تحضنه، ثم يؤخذ هذا القمح ويخزن حتى إذا حان وقت الحرث يزرع في الحقل. ويقال إنهم يحكمون على العروس بحسن الطالع إذا كان الموسم الفلاحي جيدا وبسوء الطالع إذا حدث العكس...

بعد انتهاء الأيام السبعة تتقدم أم العريس فتجلس أمام العروس التي تحني رأسها ثلاث مرات، وفي الوقت ذاته تذري أم العريس القمح على رأس العروس. وفي يوم الخميس (اليوم الذي يقام فيه السوق الأسبوعي في "ابزو") يذهب الزوج إلى السوق ليتسوق ما يسمى "سبعة صراير"، وهي صرة تتكون من سبعة أصناف من المأكولات: (اللوز+ الموز+ الكاوكاو+ الزبيب+ اللحم+ التين...) وذلك قصد إهدائها للعروس، وفي اليوم نفسه تتهيأ فيه هذه الأخيرة لأول خرجة لها خارج المنزل ن فيذهب بها إلى النهر لتسقي الماء وتعود، أو تؤخذ إلى المسجد. وأثناء العودة يقدم لها طفل رضيع تعود به إلى البيت. ويقولون مبررين هذه العادة بأنه على العروس أن لا تدخل إلى بيت زوجها خالية اليدين.. ومباشرة

بعد عودتها يقدم لها الصوف لتفرز جيده من رديئه بواسطة عملية تسمى (اتقرشين)، وبعدها تغزل الصوف الذي يوضع في مكان ما من البيت بعيدا عن الأنظار، وعندما يصل فصل الحرث يؤخذ هذا الصوف وتخاط به "بردعة" الدواب التي ستستعمل في الحرث، ويعللون ذلك بنفس التعليل الذي سبق وان رأيناه في طقس القمح.

3."إنشادن"، "أوال"، "إيمداحن".

أصل كلمة "إنشادن" عربي، وتعني المنشدين. ولها بمنطقة "ابزو" مرادف آخر، هو أيضا من أصل عربي، هو "إيمداحن".

ويرتبط حضور"إنشادن" أو "إيمداحن" في المجتمع الأمازيغي بالأطلس المتوسط بالمناسبات الدينية والدنيوية، ويتم الإنشاد تحت الخيمة. ولا يكون "الإنشاد" وحده، بل يكون مدعما من طرف مرددين (إردادن)، والغاية المتوخاة من ذلك هو دعم الشاعر معنويا. (6)

ويتم طقس الإنشاد بتوسط "أنشاد" للحاضرين. وغير بعيد عنه يقف مرددان. ويتم الأنشاد وسط سكون تام بإيقاع صوتي متميز وتموجات لحنية تطول أو تقصر بحسب مضمون القصيدة. وتتخلل عملية الإنشاد محطات أو وقفات مضبوطة من طرف "الأنشاد"، "بعدها ينتقل الإنشاد إلى السندين يرددان آخر شطر وقف عنده "إنشادن"، يرددانه بتموجات صوتية مختلفة مما يتيح لأنشاد فرصة استجماع قواه، كما يلجأ أحيانا إلى تشخيص الملفوظ بحركات وإيماءات برأسه أو يده، يلتفت ذات اليمين وذات الشمال للإبقاء على حبل التواصل مع جمهوره."(7) ويعود انشداد الجمهور إلى "إنشاد" وتعلقهم به إلى أن الشاعر يعكس في شعره تطلعات وأمال الناس، ويعبر عن منظوراتهم وتصوراتهم ورؤاهم للعالم. " فأنشاد مؤرخ أمين في تدوينه لأحداث تاريخ المنطقة التي ينتمي إليها، وشعره سجل حافل بالحقائق والمعلومات عن الصلات القبلية وأعرافها، وعاداتها وتقاليدها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية."(8)

4. الاستحمام بعين "للارحمة".

توجد بالمنطقة عين ماء تسمى "للارحمة"، " تنبع من فتحة أشبه ما تكون بالكهف لتصب في بحيرة "تامدة". هي محج للفتيات العوانس الباحثات عن زوج (قد يأتي ولا

---

(6) - احمد بوزيد الكنساني، أحواش، منشورات عكاظ، ط 1. 1996،ص 17.

(7) - أحمد مسعود، وبوشتى ذكي.. الشعر الغنائي الامازيغي، سلسلة شراع ص: 18.

(8) - نفسه، ص: 114.

يأتي)، واعتقادا منهن بأن عدم زواجهن يرجع إلى أنهن تعرضن لنوع من السحر يسمى "العكس"، لذلك يقصدن هذه العين للاستحمام بها للتخلص منه. وجرت العادة أن ترافق الفتاة العانس مجموعة من النساء المسنات تتقدمهن الأكبر سنا تحمل فوق رأسها صينية بها قالب سكر بدون غشاء مطلي بالحناء، تحوط به الشموع من كل الجوانب وهي مشتعلة، ويدخلن إلى البحيرة بالزغاريد والأهازيج. وفور الوصول إلى المدخل تنثر "لبسيسة" (خليط من الطحين والقمح والذرة خال من الملح) في كل الأنحاء. تدخل الفتاة إلى العين، توقد الشموع وتضع بعض قطع السكر، وبعد الانتهاء ترتدي ثيابها وتغادر المكان تاركة بعض خصلات شعرها وملابسها الداخلية ومشطها. وقد انتبه"هانري باسيت/ Basset Henry" إلى هذه الظاهرة المنتشرة كثيرا في مناطق الأطلس، واعتبر أن عبادة المغارات ومنابع المياه ظاهرة مهيمنة في المغرب"[9]، ويرجعها إلى كون "البربر" كانوا يقطنون في الكهوف. لكن "بول باسكون" يرى رأيا آخر، ويفسر هذه الظاهرة بكون الكهوف تمثل فم القوى الجوفية وبطنها والينابيع: العيون بالعربية و تيط بالبربرية، تسيل منها الدموع، وداخل هذه الأعماق يسكن الجن الذين يهربون منها ساعات وليال معينة، ويحرسون الكنوز المطمورة فيها.. إن المغارات تتكلم، وهذا معروف، والهواء الذي يسري في جنباتها يوصل إلى آذاننا تنهيدات وصرخات وأصوات صفير، كما أن الينابيع تفور وتجأر، والزوار يأتون لسماع أجوبة عن أمور غيبية تتعلق بالاضطراب الذي يعاني منه كل واحد منهم مثلما هو الحال في دمنات "سيدي بويندر" وفي الأطلس الصغير قرب إغرم، تقوم النساء برجم مغارة مغلقة على خاطب نكث عهده."[10]

وفي هذا الإطار يمكن أن نفسر طقس "لبسيسة" الذي تقوم به النساء عند مدخل بحيرة "تامدة" باعتباره طردًا للأرواح الشريرة التي تسكنها خصوصا وأن هناك أسطورة شهيرة حول هذه البحيرة تتلخص في أنها (هذه البحيرة) "تطوح" (تقلد صوت البقرة)، كما أنها أقسمت أن تأكل (تغرق) شخصا كل سنة..

5. الحــرث

من عادات السكان عندما يحل موسم الحرث أن يحمل الفلاح محراثه إلى الحقل قصد التأكد من صلاحيته للحرث، ويأخذ معه "رمانة" وحبوب "الذرة" مطبوخة، وخبزة تسمى "خبزة المحراث". وقبل أن يباشر عملية الحرث يكسر الرمانة فوق المحراث ويوزعها على

(9) - هانري باسيتن عبادة المغارات في المغرب، الجزائر.1920.

(10) - بول باسكون، موسوعة الأساطير والمعتقدات، ليديس، مارس 1981 بيت الحكمة، عدد 03 السنة 1986، ص: 86.

الأطفال مع قليل من الذرة والخبز. بعدها يخطط الحقل بأربعة خطوط متوازية ويعود إلى المنزل.

في اليوم الموالي يحمل الفلاح البذور إلى الحقل (الفدان) على دابته والمحراث وبقية اللوازم الضرورية، ويبدأ الحرث إما بحيوان واحد (حمار أو بغل) أو باثنين وتسمى (الزوجة) (حمار وبغل) (بغل وجمل)... وبعد الإنتهاء من عملية الحرث يعود الفلاح إلى بيته حيث يجد زوجته في استقباله وقد هيأت له أكلة "الدشيشية"، وهي أكلة تصنع من الحبوب المهشمة ذرة، قمح... واللبن.

وفي هذا اليوم لا تكنس النساء المنزل حتى يحصل الفلاح على محصول جيد، و يتزين بالكحل حتى لا ينمو- كما يعتقدن- نبات طفيلي في الحقل يسمونه "الكحيلة".

6. ولادة البقـرة.

عندما تلد البقرة تقوم ربة البيت بإبعاد الصغير حتى لا تدوسه (أمه) برجلها، وفي الوقت نفسه تقدم للبقرة وجبة مكونة من الزرع بعد تسخينه إيمانا منها بأن ذلك يحميها من الأمراض التي ترافق الولادة، وتؤدي في كثير من الأحيان إلى الوفاة.أما المولود (العجل) فيطلى رأسه بالحناء.

وبعد أن تستقر الأمور تأتي مرحلة الاحتفال بالمولود، فتعمد ربة البيت إلى حلب البقرة، وتدفئة هذا الحليب حتى يتكاثف بتحوله إلى "اللبا"، وتستدعى نساء الحي لأكل "اللبا" وتقديم الهدايا (لبياض) لصاحبة الحفل.

7. العنصـرة

يعد يوم (العنصرة) يوما احتفاليا بالنسبة للفلاحين بالمنطقة. ففي صبيحة هذا اليوم تقوم النساء بطهي أكلة "ادشيشة" التي تصنع من القمح والحليب أو الذرة واللبن... ويتم تحضير بعض المنتوجات الفلاحية كالفول، والذرة، واللبن والسمن لتقدم في وجبة الغداء. وتقوم النساء برش المنزل بالقليل من القمح المطهي في ماء خال من الملح ، وتسمى هذه الأكلـة بـ "الشرشم"، وما تبقى منه يؤكل مباشرة بعد صلاة العصر. أما الرجال، فإنهم يتوجهون لاستخلاص عسل النحل...

وفي نفس اليوم يذهب الرجال والنساء والأطفال إلى نهر "وادي العبيد " الذي يخترق البلدة قصد الاستحمام والتداوي من بعض الأمراض الجلدية، كما يتم فيه أيضا اقتسام الأغنام والأبقار بين الشركاء من الفلاحين.

8 ـ النايـــر

هواحتفال يقام بمناسبة نهاية السنة الفلاحية وبداية أخرى، ويستغرق الاحتفال يومين. في الليلة الأولى من اليوم الأول تهيئ النساء طبق "الكسكس" الذي يستخلص تقليديا من الدقيق. وجرت العادة أن يصاحب هذا الطبق سبعة أنواع من الخضر الطازجة، وأن يقدم في قصعة كبيرة مزينة بالبيض، وعند الانتهاء من الأكل تمرر الأم لقمة من "الكسكس" على كل أفراد الأسرة، وكلما قدمتها لأحدهم فإنه يتوجب عليه أن لا يأخذها منها، بل عليه أن يقول: "شبعت". وفي الليلة الثانية من اليوم الثاني تهيئ طبقًا من "التريد" يسقى بالسمن والعسل. (وإذا كانت الأسرة ميسورة فكل فرد منها يحظى بديك كامل).

وتمر هاتان الليلتان في جو من المرح والسعادة. و في الليلة الأخيرة يرغم الآباء أبناءهم على أكل أكبر كمية من الطعام، وإذا ما توقف أحدهم أو امتنع أرهبوه وأخافوه بـ"اللَّمَّاسَة". ويحكون أن هذه "اللماسة" امرأة شريرة تأتي في الليل بعد أن ينام الأطفال وتحرك الواحد منهم بعد الآخر، ومن وجدته أخف وزنا أخذته معها...

9 ـ الختـــان

في اليوم الأول من حفل الختان يؤخذ خليط من البخور (حرمل وشبة و فاسوخ وعرعار و قزبور...) و يوضع في صرة، وتعلق الصرة في عنق الطفل المقبل على الختان، وذلك حماية له من عيون الناس، كما تقوم الجدة أو الأم بطحن الحناء في رحى يدوية.

وفي اليوم الثاني تقوم النساء بتنقية القمح، وطحنه في الرحى نفسها التي طحنت الحناء فيها ليصنعوا من دقيقه أكلة "التريد" والتي سيأكل منها الحجام والطفل "والطلبة". و يهيئ الطفل بوضع الحناء في يديه من قبل امرأة عجوز تقوم أيضا، بمشط شعر أم الطفل التي تتزين في هذه المناسبة بملابس بيضاء (قفطان و دفينةو بلغة). أما الطفل فيرتدي هو الآخر ملابس جديدة (إما فوقية أو سلهاما وطربوشا وبلغة).

وعندما يحضر الحجام والطلبة (حفظة القرآن) إلى البيت يقدم لهم الأب البيض والتمر واللوز والحليب والشاي، وبعد قراءة بعض الآيات والسور القرآنية يدعون للأب والطفل وكل أفراد الأسرة. ومباشرة بعد ذلك يؤتى بالطفل محمولا في "كصعة"، وتتعالى الزغاريد وأهازيج النساء في كل أرجاء البيت حتى لا تسمع الأم صراخ ابنها عند ختانه، والتي في انتظار أن يخرج إليها ولدها تحمل في يديها مرآة وقصبة وبلغة، وتركز نظرها على المرآة دون أن يرف لها جفن.

ومن الأهازيج التي ترددها النساء في هذا الحفل:

فرحينو اركَزينُو　　　فرحينوا ايونو

(يا فرحتي برجلي　　　يا فرحتي بولدي)

وبعد إتمام عملية الختان ، يحمل الطفل في "إزار" / لحاف جديد، ويوضع في حجر أمه التي تعطيه بيضة في مرق الدجاج والزعفران والعدس... بعدها تدخل النساء عند الأم ويغنين غناء الأهازيج لتسلية الأم والإبن والتعبير عن فرحتهن ، فيقدمن الهدايا "الزرورة" للطفل، وغالبا ما تكون عبارة عن قطع نقود ليشتري بها ما يشاء دون تدخل الأم أو الأب في اختياره...

وغالبا، ما تستمر زيارات الأهل والأحباب والأصدقاء لمدة أسبوع، وطيلة هذه المدة تردد الأهازيج داخل البيت، ويبقى الطفل في ملابسه التقليدية دون أن يغيرها أو يغسلها. ومن الطريف أن المختون إذا كان كبيرا يعطى بيضة مسلوقة أو بصلة يضرب بها الحجام، بعد انتهاء هذا الأخير من مهمته.

10. عاشــوراء

عندما يقترب حلول شهر محرم تعم الفرحة قلوب النساء والبنات والأطفال استعدادا للاحتفال بـ "عاشوراء" التي هي مناسبة عظيمة تحظى باهتمام كبير لدى سكان المنطقة.

أ- **الأطفال:** يقوم الأطفال طيلة هذا الشهر بجمع الحطب وتخزينه في أماكن آمنة استعدادا للحدث الكبير، وهو يوم "الشعالة" حيث يتنافس أبناء الدواوير حول من ستبقى شعلته متقدة إلى وقت متأخر من الليل. ومن عادات الأطفال عندما يجمعون "الزَّرْبْ"، وهو نبات شوكي، أن يحمل كل واحد منهم ما يقدر عليه، ويعودون إلى الدوار في صف منتظم وهم يرددون: "طايفة تمشي وتجي على اقبر مولاي علي". وفي اليوم ما قبل "الشعالة" يطوفون على المنازل يجمعون الحطب اليابس وهم يرددون: "أَيَتْ جُوكَا فَتَاخْ يَانْ أُكشُّظْ" (يا أهل المنزل أعطونا عودا) ، وغيرها من الشعارات الحماسية التي تشجعهم على الاستمرار في جمع اكبر كمية من الحطب.

ب- **البنات:** يبدأ الاحتفال عند الصغيرات بصنع دمية من قصب يسمونها "سيدي عاشور" وتُلَبِسْنَها الجلباب والعمامة والحذاء (لبلغة)، ثم تنتقلن به طارقات الأبواب يطلبن بعض الهدايا (لبياض) كالسكر والتمر. وفي كل مساء تتجمعن أمام أحد المنازل ويرددن "عاشور بوكمية، دفنوه في ركية، بيض وانقيه"، وغيرها من الأغاني الحزينة التي سنورد بعضا منها في آخر هذا الفصل.

وفي آخر يوم من عاشور (يوم الشعالة) تقوم النساء بتهيئ وجبة الكسكس بالكرداس والقديد الذي تم الاحتفاظ به من أضحية عيد الأضحى. وبعد تناول وجبة العشاء تتزين النساء بالكحل والسواك والحناء ، ثم تخرجن إلى ساحة الدوار ويرثين "عاشور" الذي سيودعهن بأغاني حزينة، وغالبا ما ينتهي الليل بالبكاء والنحيب. وفي الصباح الباكر، وقبل بزوغ الشمس، تنهض الفتيات الصغيرات ليدفن "عاشور". وبعد طلوع الشمس، تقوم النساء بتوزيع التين والتمر في المقابر.

وحوالي الساعة العاشرة يبدأ طقس "زمزم" حيث يتجمع الأطفال الصغار والكبار ليرشوا بعضهم البعض بالماء، بل ويرشون المارة وكل من قابلوه. ويدوم ذلك حوالي ساعتين.

وفي المساء تجتمع الأسرة حول "الفاكية"، وهي خليط من الفواكه الجافة كالثمر والتين واللوز والجوز وغيرها، ويتم اقتسامها بالتساوي بين أفراد العائلة.

والجدير بالذكر هو أن الاحتفال "بالسيد عاشور"، ما هو إلا احتفال رمزي بسيدنا الحسين رضي الله عنه شهيد كربلاء سنة ٦١هـ.

وهذه نماذج من بعض الأغاني الرثائية التي ترددها النساء طيلة الإحتفال في كل ليلة:

1- عاشور ابو امدجَّهْ، مَاتْ وُخَلاَّ خديجه.

2- كَدِّيدَه كدِّيدَه ملويه عَلْ لَعْواد، أَبَابَ عاشور ج ايْصَلِّ ادَّاهْ لْوَادْ

3- كَعْ اشْرَوْ البارود كلُوا احْنَا رَجَّلاَ، حرك بابا عاشور خل مرت هَجَّالا.

3- أمول الجلابة الشَّرْكِيَّة، خل لبنات إلعب اشْوِيَّ.

4- أَحَفَّرِنْ قبر راح الليل عليكم، بابا عاشور فالنوالة يْتْسَنَّ بيكم

5- أَوْرِيدَا والشمس حْدَاها، فرحات اللّي زَاْر مَكَة وؤاسكن حْدَاها

6- أبابا عاشور يا الميت بين الحفرات، ماهو مات ماهو مات

أبابا عاشور يا الميت بين الكديات، ماهو مات ما هو مات

7- عشوري عشوري ، عليه دَلِّيتْ اشْعُورِي

كَدْ احْبَالْ الجَّرَارَهْ

كَدْ الْمُوتْ الْغَدَّارَهْ

كَدْ الْوَادْ وُمَا فيهْ

كَدْ الطّْرِيقْ السَّوَّاقَهْ.

8- واهي عاشور جات الخطبة في بنيتك

واهي عاشور تعطيها ولا لواه

واهي عاشور جاتك البلغة زيواني

واهي عاشور جاك الحايك فيلالي

واهي عاشور جاتك الحنا جاك التمر

واهي عاشور تعطيهم ولا لواه.

11. ليلة القدر

شأن أهالي بقية المناطق في المغرب يحتفل سكان المنطقة بليلة القدر. ويشمل الاحتفال الطقوس التالية:

I - بالنسبة للنساء:

1. في 25 رمضان تخضب النساء رؤوسهن بالحناء.

2. في 26 رمضان تستيقظ النساء مبكرا ليغسلن رؤوسهن. وفي المساء يتبخرن ويبخرن كل الغرف والمرافق التابعة للبيت. وتقوم بعض الأسر الميسورة بطهي الكسكس وإهدائه للمساجد قصد إطعام القائمين الليل في الصلاة وقراءة القرآن، وكذا المحتاجين وأبناء السبيل.

وللنساء طقوس خاصة في هذا اليوم، فهن يتزين بالسواك والكحل والحرقوص، ويسرحن شعرهن ليبدو مرتبا وأنيقا اعتقادا منهن أن الحالة التي هن عليها في هذا اليوم هي الحالة التي سيبعثن بها يوم القيامة.

3. في يوم 27 رمضان، تقوم النساء برفقة بناتهن، وبشكل جماعي أو فردي، بزيارة الأولياء والأضرحة، لأن هذه الزيارة في نظرهن تجلب لهن الخير والبركة والصحة.

II- بالنسبة للأطفال:

الصيام، وما أن يؤذن المؤذن معلنا وقت الإفطار حتى تبدأ طقوس الإحتفال بالصبي:

1. يقدم للطفل كوبين من الحليب.

2. يصعد إلى مصطبة أو دكة أو شيء مرتفع في المنزل، فتسلم له والدته تمرة، يأكلها ويغمض جفنيه، ثم ينزل من فوق الدكة ويمشي خطوات دون أن يفتح عينيه، فتتعالى الزغاريد والهتافات التي تشيد بالصبي.

III - بالنسبة للرجال:

يرتدي الرجل أو الشاب أجمل حلة لديه، ويتوجه إلى المسجد مع أبنائه، إذا كان لديه أبناء. وبعد الوصول إلى المسجد يؤدي صلاة العشاء والتراويح، ثم يعود إلى البيت لإحضار الطعام إلى المسجد تكريما للمصلين القادمين من أماكن بعيدة و الفقراء.. وفي هذا الوقت يكون الأطفال الصغار أمام الباب في انتظار ما تبقى من الطعام. وبعد الانتهاء من الأكل يعود المصلون إلى صلاتهم من جديد حتى يحل وقت السحور، وبعد ذلك يتناوب حفظة القرآن على استظهاره من بدايته إلى نهايته.

12. الولادة

من الأمثال المأثورة بمنطقتنا "بع الفاس والمكناس على شاة العيد والنفاس". وإن دل هذا المثل على شيء ، فإنه يدل على العناية التي يوليها هؤلاء الناس للولادة. فحين يحل وقت الوضع ينادى على (القابلة)، وعادة ما تكون امرأة مسنة لها خبرة وتجربة، لتسهر على عملية الولادة منذ اللحظات الأولى حتى النهاية.

وما أن يخرج الوليد إلى هذه الدنيا حتى تسارع (القابلة) إلى قطع الحبل السري بالملح، وتأخذ بعر الأغنام والكحل لتعالج به هذا الحبل. وعندما يسقط أو يقطع، فإن هناك بعض العائلات اللواتي يحتفظن به ويقدم كدواء للنساء اللواتي يعانين من العقم، وذلك بوضعه في إناء مملوء بالماء ويشربن منه.

وبعد مرور سبعة أيام تحتفل الأسرة بالعقيقة (السبوع)، فيحلق شعر الرضيع من الجهة اليسرى ويترك شعر الجهة اليمنى، ويعلق في هذا الشعر المتروك عقيقة حمراء أو خيط أحمر أو قرش من الفضة، ولما يبلغ الرضيع أربعين يوما يقطعون له شعره من جديد، ويوزع التمر على الأسرة والأصدقاء..وغالبا ما يقوم بعملية الحلق رجل شريف ينتسب إلى زاوية من زوايا المنطقة.

أما الأكلة المشهورة التي تقدم للمرأة النفساء، فهي "الرفيسة" ، وتتكون من قطع من الخبز والفطير يضاف إليها مرق تتخلله بعض الأعشاب مثل "العرعار" و"اليزيز" و"الزعتر" و"الفيجل" مرفقة بالفول والحمص ولحم الدجاج.

13 . التسميـة

في اليوم السابع من الولادة يتم الاحتفال بـ(التسمية)، فيتم دعوة بعض حفظة القرآن لتناول وجبة الفطور التي تتكون غالبا من الخبز والزيت والشاي، أو من طبق الرز، ويخرج المدعوون أمام المنزل، وتذبح شاة أو خروف، ويتم اختيار الاسم عند ذبحها، ويحضر (للتسمية) الأقارب والأهل وأعيان البلدة إذا كان للأب مكانة اجتماعية مرموقة.

أما إذا كان المولود بنتا، فإن (التسمية) تتم بصمت، بل إن الحسرة تأخذ مكان الفرحة وتشعر الأسرة بإحباط شديد.

14 . المولد النبـوي

من أهم المناسبات التي يحتفل بها أهل "ابزو" عيد المولد النبوي الشريف الذي يبتدئ من مطلع شهر ربيع الأول إلى الثاني عشر منه. ومن الطقوس المشكلة للاحتفال ما يلي:

1- تنقسم القرية إلى مجموعات، و تنتسب كل مجموعة إلى أحد الأغنياء أو إلى أحد الشيوخ المسنين. وتنقسم كل مجموعة إلى فرق، و تبدأ كل واحدة بالسهر كل ليلة عند أحد أفرادها إلى ليلة الثاني عشر، فتجتمع كلها عند (رئيس الجماعة).

2 - عادة، وطيلة الاحتفال، يلتقي الأفراد بعد صلاة العصر وفراغهم من أشغالهم. ويشكل القراء حلقة يتقاسمون فيها تلاوة أحزاب القرآن بينهم. وكذلك يكون بقية الحاضرين حلقات أخرى ليسبحوا أو يقرأوا سورة الإخلاص عدة مرات طيلة الوقت الذي يستغرقه ختم القرآن. ويستمرون على هذا الحال حتى صلاة العشاء.

3 - يؤتى بـ "الكسكس" مطبوخا بلحم الغنم فيتعشى الجميع، وتؤخذ فترة استراحة لتجديد الوضوء وشرب الشاي، ثم تجمع نسخ القرآن، وتتصفح كتب المدائح النبوية وفي طليعتها بردة البوصيري وهمزيته.ويستمر هذا الحال حتى وقت متأخر من الليل..

4 - في الليلة الثانية عشرة يستمر الاحتفال حتى الصباح، ويختم بما يسمى ب "المولدية"، وهذا إعلان بأن الاحتفال قد انتهى رسميا، فمن شاء انصرف، ومن شاء بقي حتى وقت الغذاء.

ويرافق الاحتفال بمولد الرسول (ص) إقامة موسم التبوريدة/الفروسية الذي يدوم ثلاثة أيام. وقد ارتبط هذا الموسم بزاوية "سيدي الصغير بن المنيار"، وتساهم في إحيائه قبائل عديدة من مختلف المناطق تقدم إلى "ابزو" بخيولها وفرسانها وأسرها، وطيلة هذه الأيام الثلاثة تقدم كل فرقة ذبيحة إلى الزاوية، وهي مناسبة للتباهي والتفاخر بين القبائل.

وجرت العادة أن يفتتح الموسم بذبيحة "أهل القلعة"، وهي القبيلة التي أوت "سيدي الصغير بن المنيار" قبل انتقاله إلى المحل الذي بنى فيه زاويته، وأصبح يطلق عليه "دوار المدرسة".و "أهل القلعة" مجموعة من الدواوير المتقاربة جغرافيا وثقافيا، وسكانها جميعا يتكلمون اللغة الامازيغية، و يجتمعون في المسجد، ويجمع كبارهم مساهمات القبائل لشراء ذبيحة الولي "سيدي الصغير"، يتجمعون بدوار "أيت مولي" بخيولهم ونسائهم وأطفالهم يتقدمهم الثور/ الأضحية وهم يطلقون البارود والزغاريد في موكب مهيب... وبعد الوصول إلى الزاوية، وبعد أن يكونوا قد قطعوا حوالي ثلاثة كيلومترات يقدم الثور للذبح. ولكي تكتمل الفرجة، فإنهم يذبحونه نصف ذبحة حتى يتمكن من النهوض ومطاردته من قبل الأطفال والشبان وكذا الفرسان حتى ينهار ويسقط، فيتم إعادته إلى الزاوية. والطقس نفسه تقوم به كل الفرق والقبائل المشاركة في الموسم السنوي..

وفي بعض الدواوير يتخذ الاحتفال بعيد المولد النبوي طابعا مميزا، ففي هذا اليوم تستيقظ النساء مبكرا قبل آذان الصبح من أجل تحضير أكلة تقليدية تعرف باسم "الرفيسة"، وتتكون من خبز الفطير الساخن والبصل وزيت الزيتون، وتجتمع النساء حول الأكلة باحترام وصمت وكأن "للأمينة" حاضرة بينهن، لأنه، كما يشيع في اعتقادهن، فمن أجلها هيأت الأكلة. وبعد الآذان مباشرة تطلق الزغاريد إعلانا عن توقيت ولادة الرسول (ص)..

وفي اليوم السابع، يتم الاحتفال بعقيقة الرسول (ص) ، فيجتمع خدام الزاوية . وهم شرفاء "سيدي علي بن ابراهيم"و"أولاد بوعلي" . وبرفقتهم ثلاث نوق في الزاوية بالدوار (دوار باحي) تذبح أمام حشد هائل من الزوار القادمين من كل الدواوير المجاورة للمشاركة في الحفل ، والجميع يتشوق لرؤية طقوس النحر.

وبعد انتهاء الذبح يوزع لحم النوق الثلاثة على الأشراف الذين يستضيفون الخدام لمدة ثلاثة أيام لا يتوقف فيها الاحتفال بهذه المناسبة الدينية العظيمة، قبل أن ينتهي الخدام إلى منازلهم وهم يصلون على النبي.

15 . حفظ القرآن

من أهم المناسبات التي يتم الاحتفال بها في المنطقة "ختم القرآن" باعتبارها بداية حياة جديدة بالنسبة للشاب.. وغالبا ما ينتهي جل الأطفال من حفظ القرآن بعد ثلاث سنوات.

في يوم الحفل، يجتمع حفظة القرآن من كل أنحاء البلدة، ويرتدي الطالب المحتفى به ثيابا جديدة وخاصة: "الجلابة البزيوية" الناصعة البياض المتقونة النسج و"طاقية" و"بلغة"، ويرافق الطالب أصدقاؤه من المسجد حتى باب المنزل حاملين ألواحهم و هم يرددون الأناشيد التالية:

ببركات النبي

علم هذا الصابي..

بيضة بيضة لله

باش انزوق لوحتي

لوحتي عند الطالب

والطالب في الجنة

والجنة محلولة

حالها مولانة..

وتقدم لزملاء "لمحدق"، وهي التسمية التي يطلقونها على حافظ القرآن، قصعة من أكلة "بركوكش" إذا كانت الأسرة فقيرة فيتخاطفونها أمام البيت، أما إذا كانت الأسرة غنية فيقدم لهم "الكسكس" و"المرق باللحم".

16. الحلقة

جرت العادة أن تقام حلقات فرجوية كل أسبوع في دوار "المدرسة" بفضاء يتوسط الدوار يطلق عليه اسم " المرس". وكان هذا الفضاء مسرحا مفتوحا تقام فيه عروض مختلفة، أحيانا تكون مهيأة مسبقا، وأحيانا تكون مرتجلة وليدة اللحظة.

ولعبت هذه العروض دورا مهما في تنمية ذوق السكان وتربيتهم وتسليتهم وربطهم بالعالم الخارجي، وتعليم الناس من خلال الشخصيات المسرحية التي تجسد نماذج بشرية وثقافية هي نتاح الواقع الإجتماعي المغربي في تلك الفترة، وغالبا ما كانت تلعب هذه النماذج على خصائص التناقض والتضاد، أهمها صورتي "العروبي والمديني"، إذ يقدم الأول في صورة شخص قوي البنية، خشن اللغة، متسخ اللباس.. هو أقرب إلى الطبيعة، بينما يقدم الثاني على أنه صاحب البنية الهشة، واللغة الأنثوية واللباس الجميل، والمشية الأنيقة.

أما الجمهور الذي يتابع هذه العروض فيتشكل من نساء ورجال وشبان وأطفال يجلسون بشكل دائري: أعيان البلدة في الأمام جالسون فوق الحصير أو الزرابي، الصغار على الأرض مشدودون إلى العرض . ومنهم من يداعبه النعاس ومنهم من نام. أما الشبان فبعضهم يقف إلى جوار الأطفال والآخرون يقفون بعيدا يبحثون بعيونهم يحاولون التعرف على البنات اللواتي يرافقن أمهاتهن لمشاهدة التمثيليات والعروض.

والفرق التي كانت تزور البلدة متنوعة، وإن كان القاسم المشترك بينها أنها فرق استعراضية تمزج في عروضها بين الموسيقى والرقص والتمثيل الهزلي. وأذكر من هذه الفرق، فرقة "لمسيح" ، وتستمد تسميتها من البطل الذي كان محور جميع عروضها، وقد لعبت هذه الشخصية الذكية المتغابية والحادة اللسان دورا كبيرا في تشكيل مزاج وثقافة سكان البلدة، وظل هذا الإسم يتردد طويلا على لسان كل أفرادها .

و كانت تزور البلدة فرق "هداوة" و"عيساوة"، وهي فرق صوفية تطوف بالبلدة نهارا تلاعب الأفاعي والثعابين، وفي الليل تقيم عروضا في فضاء "المرس" . ويقف الجمهور مشدودا إلى أسلوبها الفرجوي الذي يتميز بأكل الأفاعي الحية، وشرب الماء الساخن، وشق الجباه بالسكاكين الحادة. ويقال عنهم "إنهم مسقيون"، وتعني هذه الكلمة أنهم يتمتعون بالبركة. ويتميز أعضاء هذه الفرق بشعور طويلة متهدلة على أكتافهم يرسلونها في طقس "الجذبة" .

كما كانت تزور البلدة فرقة "سيدي احمد أوموسى" التي يوظف أفرادها أجسادهم في عروضهم، وذلك من خلال حركات بهلوانية غاية في التعقيد والتنسيق، وفرقة "الرحالي" التي تقدم عروضا في السحر والتمويه حتى اعتقد الناس أن أصحابها يسخرون الجن والشياطين.

واعتاد السكان أن يتسابقوا لإطعام هذه الفرق لينالوا دعوات الخير والبركة، وغالبا ما يقدم لهم "الكسكس" كوجبة أولى، و "المرق باللحم" كوجبة ثانية بالإضافة إلى السكر والشاي.

17 . الاستشفاء من الجن

اعتادت العائلات البزيوية، فيما مضى، زيارة زاوية "سيد الصغير بن المنيار" كل خميس للمبيت به. ويقصدها الزوار من كل الدواوير المجاورة، فيتحول المزار إلى محج يعج بالحركة . وعلى كل زائر أن يتبرع بالشمع أو السكر أو النقود .

ومن العادات التي ترسخت لدى السكان في حجهم لهذه الزاوية التطواف بأبنائهم الممدرسين المقبلين على نيل "الشهادة الصغيرة"، إذ ترافق الأم ابنها إلى الضريح عشية يوم الإمتحان وتنذر على نفسها هديا إذا ما نجح ابنها في الامتحان.

ويبقى أغرب طقس كان يمارس بفناء الضريح إخراج الجن من جسد المريض، فيؤتى بالمريض إلى الفقيه، ويمسك هذا الأخير بظفر أصبع يد المريض، ويتلو بعض الآيات القرآنية ـ وغالبا ما تكون آية الكرسي ـ فيبدأ جسد المريض بالانتفاض ويبدأ الحوار التالي بينه وبين الفقيه:

الفقيه: تخرج أولا ما تخرج؟

العفريت على لسان المريض: ما انخرج!

الفقيه: قلت ليك اخرج!

العفريت: ما انخرج!

يضغط الفقيه بقوة على ظفر المريض الذي يصرخ بصوت عال. ويستمر الحوار.

الفقيه: اتخرج أولا ما اتخرج؟

العفريت: سأخرج - سأخرج!

الفقيه: فاش غد اتخرج؟

العفريت: فالماء!

الفقيه: لا

العفريت: في البحر

الفقيه: لا

يضغط الفقيه مرة أخرى على ظفر المسكون بالجن:

-العفريت: فاش ابغيتي انخرج؟ (يعيدها مرات).

ينادي الفقيه على أحد المرافقين للمريض ويطلب منه أن يأتيه بحجر.

الفقيه: اخرج في هذه الحجرة.

يلتفت الفقيه إلى الحضور بعد أن يهدأ المريض ويوصي بأن تلقي الحجر في مكان غير مطروق أو أن يدفنوه في مكان خال.

18 . عيد الأضحى، "تفاسكا"

يتخذ الاحتفال بعيد الأضحى في المنطقة طابعا خاصا ومميزا تتفرد به عن سائر المنطقة، يبدأ بتجمع الرجال والشبان والأطفال أمام المسجد باللباس التقليدي المكون من جلباب بزيوي وطربوش أو "رزة" و "بلغة"، ثم ينطلق الموكب نحو المصلى بعد أن ينقسم إلى جزأين متساويين في العدد سالكين طريقا ملتويا لإطالة الفرجة والمتعة.

تنطلق الفرقة الأولى وهي تردد هذه الأنشودة:

سبحـان الله هو الله

هو الله أكبـر هو الله أكبر

ولله الحمد على ما هدانا

سبحـان الله هو الله

هو الله أكبـر هو الله أكبر

ولله الحمد على ما هدانا

اللهم اجعلنـا من الصالحين

في هذه الأثناء تكون الفرقة الثانية واقفة دون حراك. وبعد أن تنهي الفرقة الأنشودة وتتحرك تبادر الفرقة الثانية بالإنشاد (القاطع نفسها)... وهكذا دواليك يتم التناوب على الرقص والإنشاد حتى يصل الموكب إلى المصلى.

وبعد صلاة العيد مباشرة يؤتى بكبشين كبيرين إلى المصلى، واحد لممثل السلطة المحلية والثاني لإمام المسجد. ويحظى هذا الأخير بطقوس خاصة، أهمها هو أن تصل الأضحية إلى منزل الإمام الذي يبعد عن المصلى بحوالي ألف متر حيا بعد نحره، لذا فإن شباب القرية الأقوياء يتنافسون في تحمل هذه المسؤولية، وقد يصل بهم الأمر إلى التصارع فيما بينهم على ذلك. فما أن ينهي الجزار مهمته حتى يسارعون إلى حمل الأضحية والعدو بأقصى سرعة ممكنة في اتجاه بيت الإمام وسط "الصلاة على النبي" وزغاريد النساء وتشجيعات الأطفال، ولا يتوقفون حتى يصلوا إلى المنزل، فيتباهون أمام أقربائهم بما أنجزوه.

خلاصة

إن منطقة " ابزو" تزخر بتراث حضاري وفني ثري ما يزال في حاجة ماسة إلى الكشف عنه والتعريف به، وإن لأهلها عادات وطقوسا مميزة ودالة وفي حاجة لاستغوار مضامينها و دراسة أشكالها ومقاصدها، وإن لعناصر هذا التراث وهذه العادات خاصية الجمع بين مكونات الثقافات الامازيغية والعربية واليهودية وبقايا المعتقدات الضاربة جذورها في الممارسات الإنسانية الأولى، مما يجعل منها مدخلا مهما للولوج إلى عمق الثقافة المغربية الغنية والمتعددة و مادة جديرة بالوصف والملاحظة والدرس.

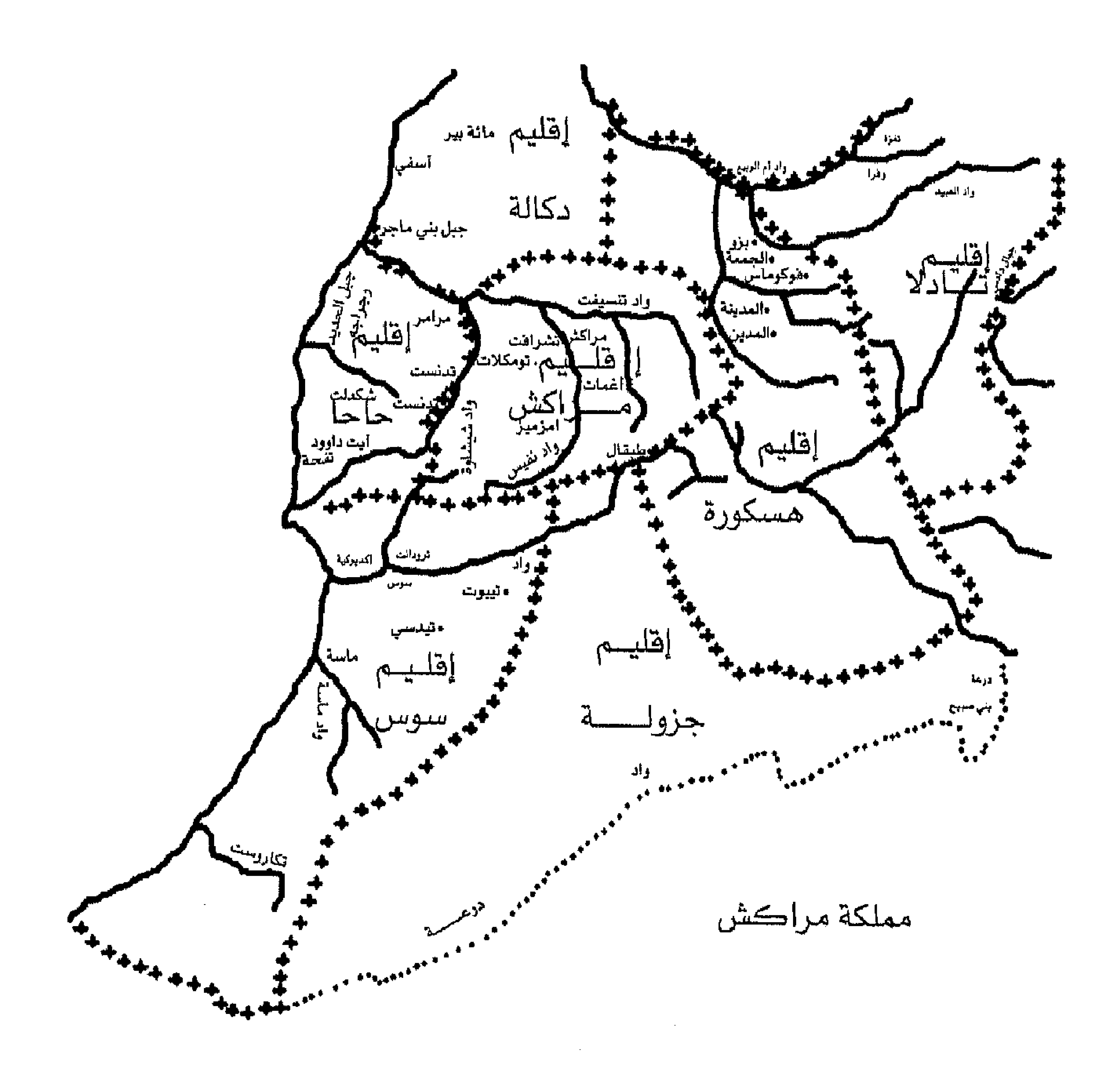
وقد حاولت، في هذه المونوغرافية المتواضعة، أن أترصد لأهم العادات والأعراف التي يعرفها سكان المنطقة، والتي تدخل في صميم ممارستهم للحياة اليومية. وكثير من هذه العادات والطقوس بدأت تتقلص وتندثر معالمها تحت ضغط الحياة المعاصرة ومتغيراتها .وحاولت ، ما أمكن، أن أصف حالتها القائمة مع تقديم ما يمكن من التوضيحات والإضاءات ، سواء تعلق الأمر بالممارسات الاجتماعية أو الدينية أو بالأماكن المقدسة وأصحابها...

إلا أن العديد من الطقوس والعادات الخاصة بأهل " ابزو" . لاسيما المنتمية للثقافة الامازيغية . تتطلب أكثر من بحث ودراسة و كثير من المبادرات والمجهودات الجادة للتعرف عليها والوقوف على جل عناصرها ومميزاتها .

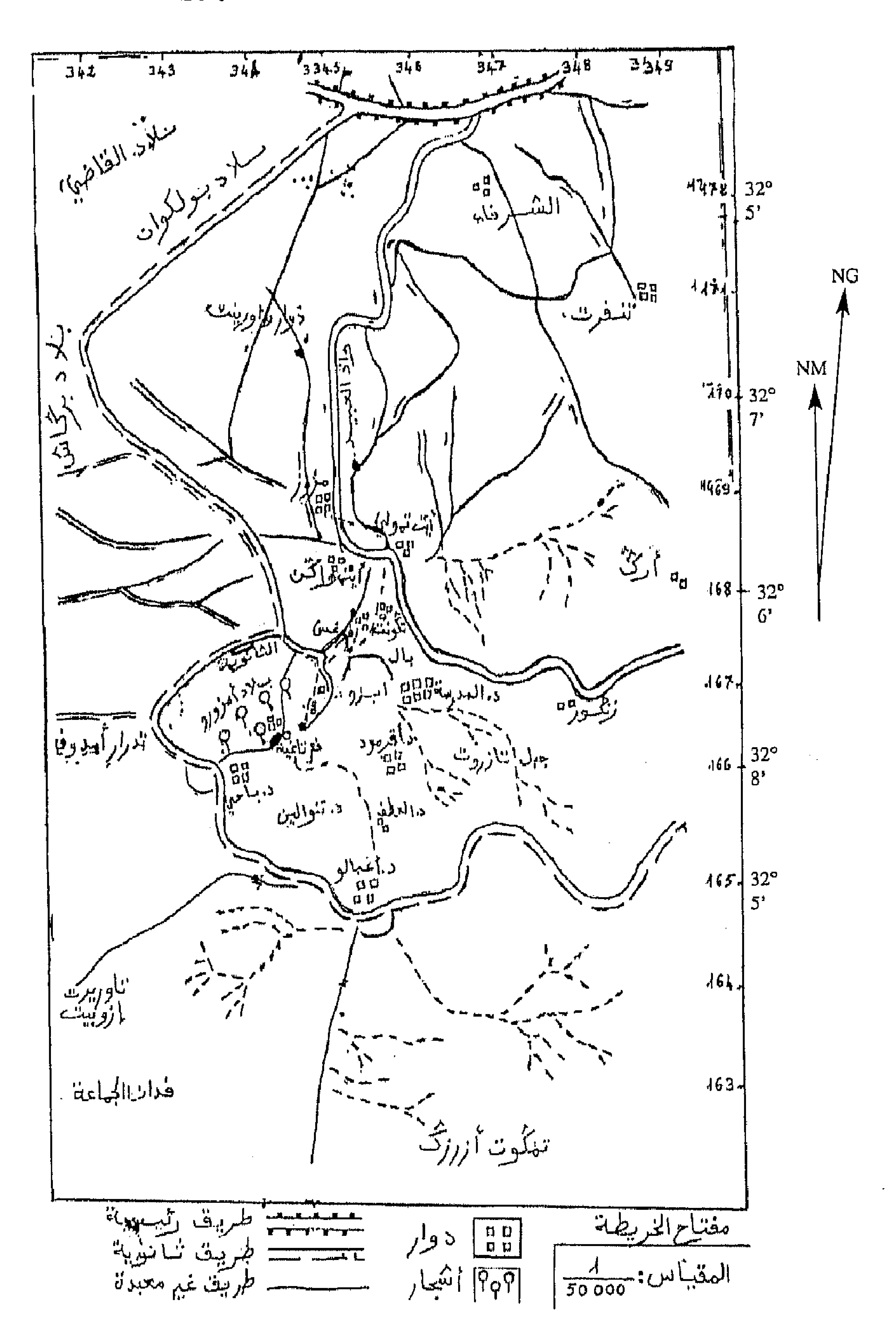
ملاحق

1 . خرائط

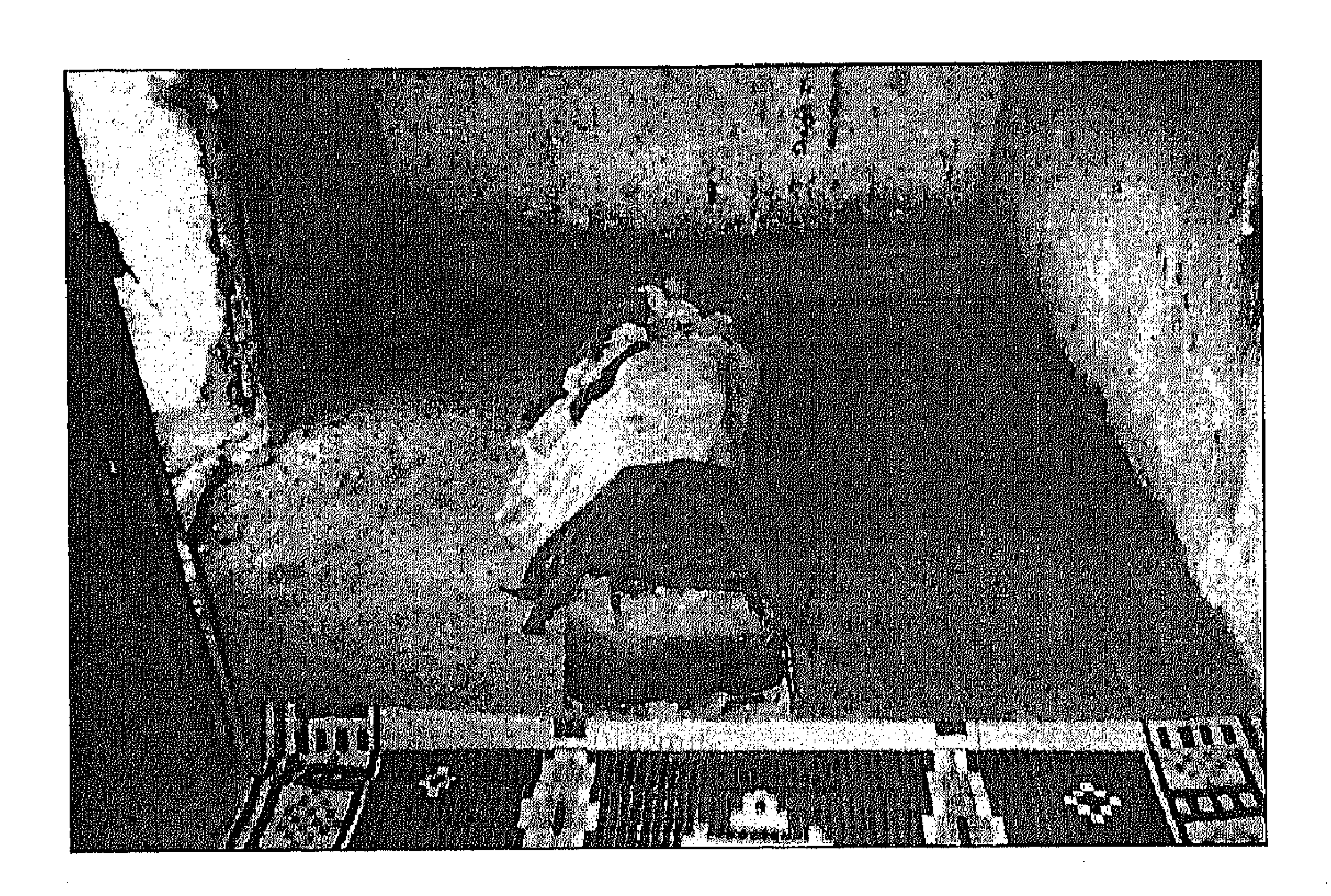
خريطة محمد الحسن الوزان



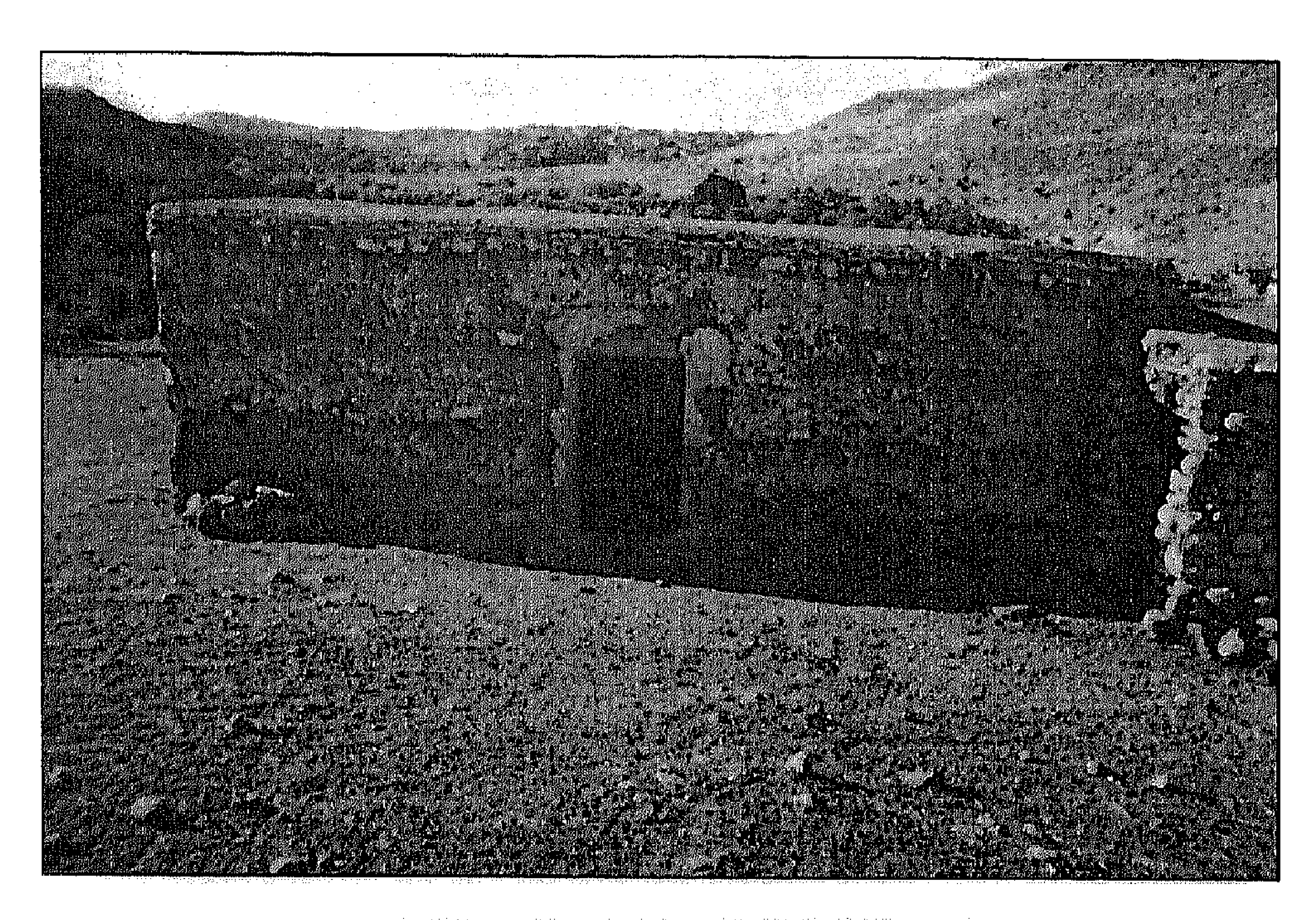
خريطة طبوغرافية لمنطقة ابزو



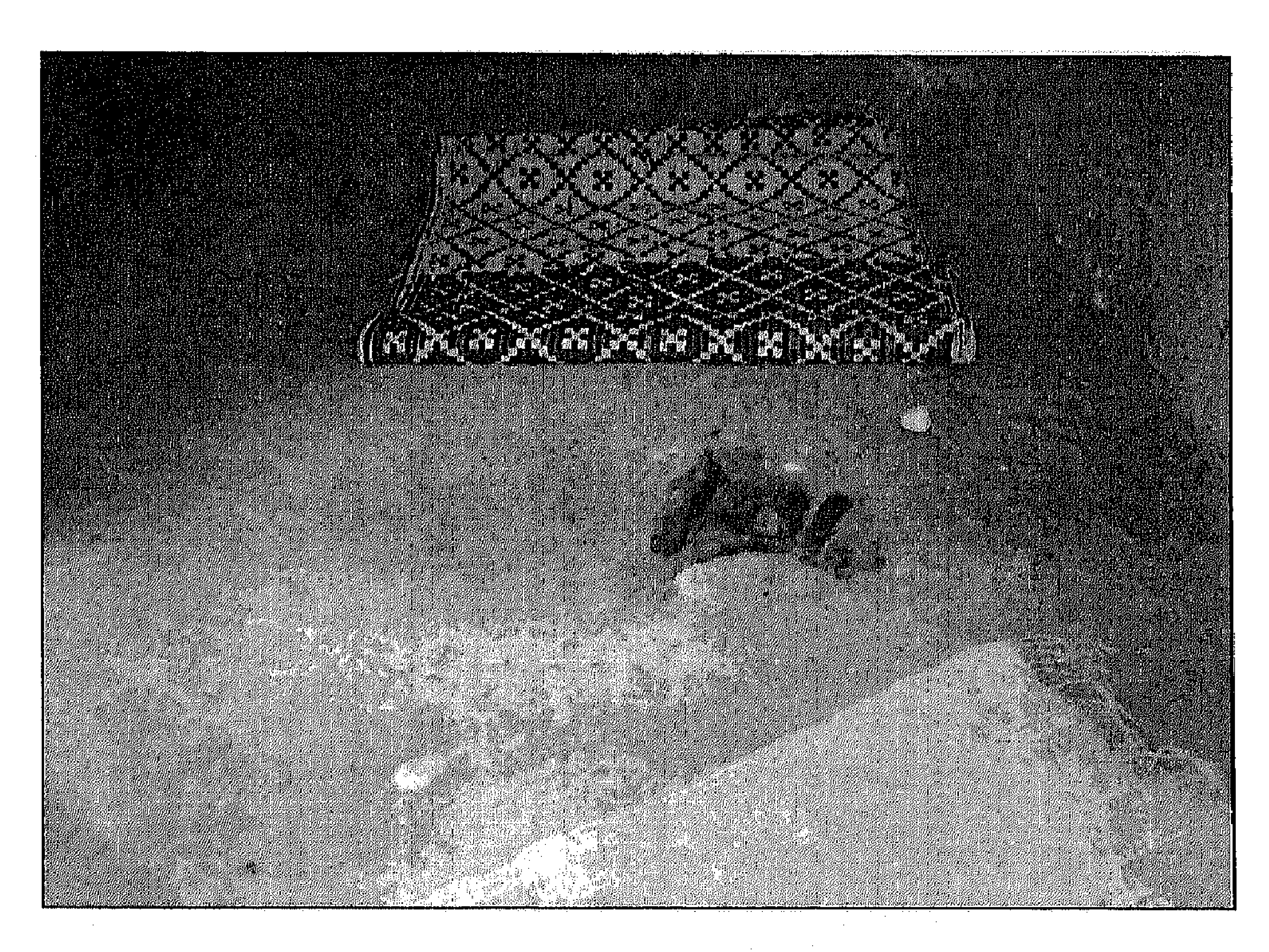
2. صور



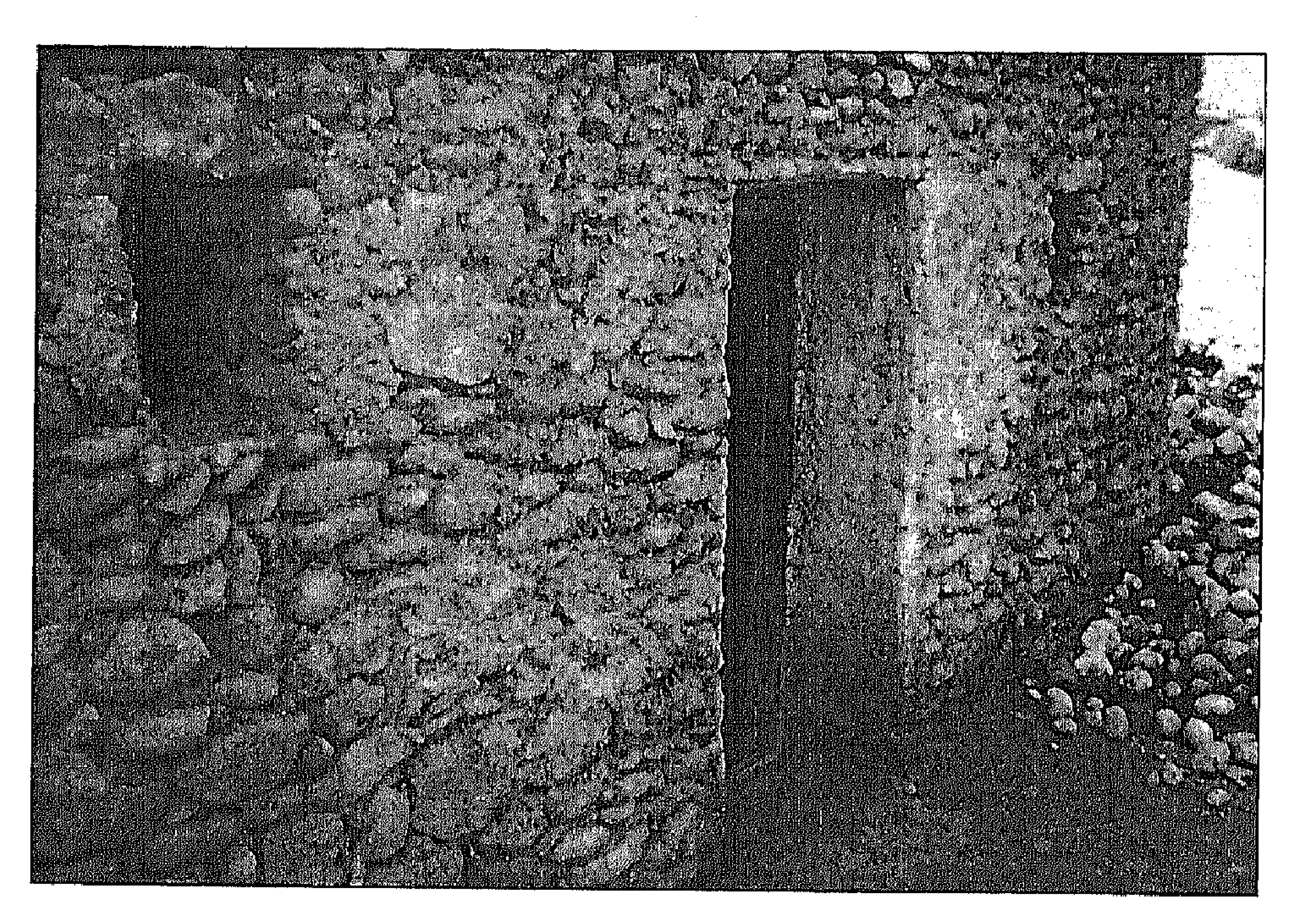
سيدي إبراهيم وسعيد - من الداخل- تكونت



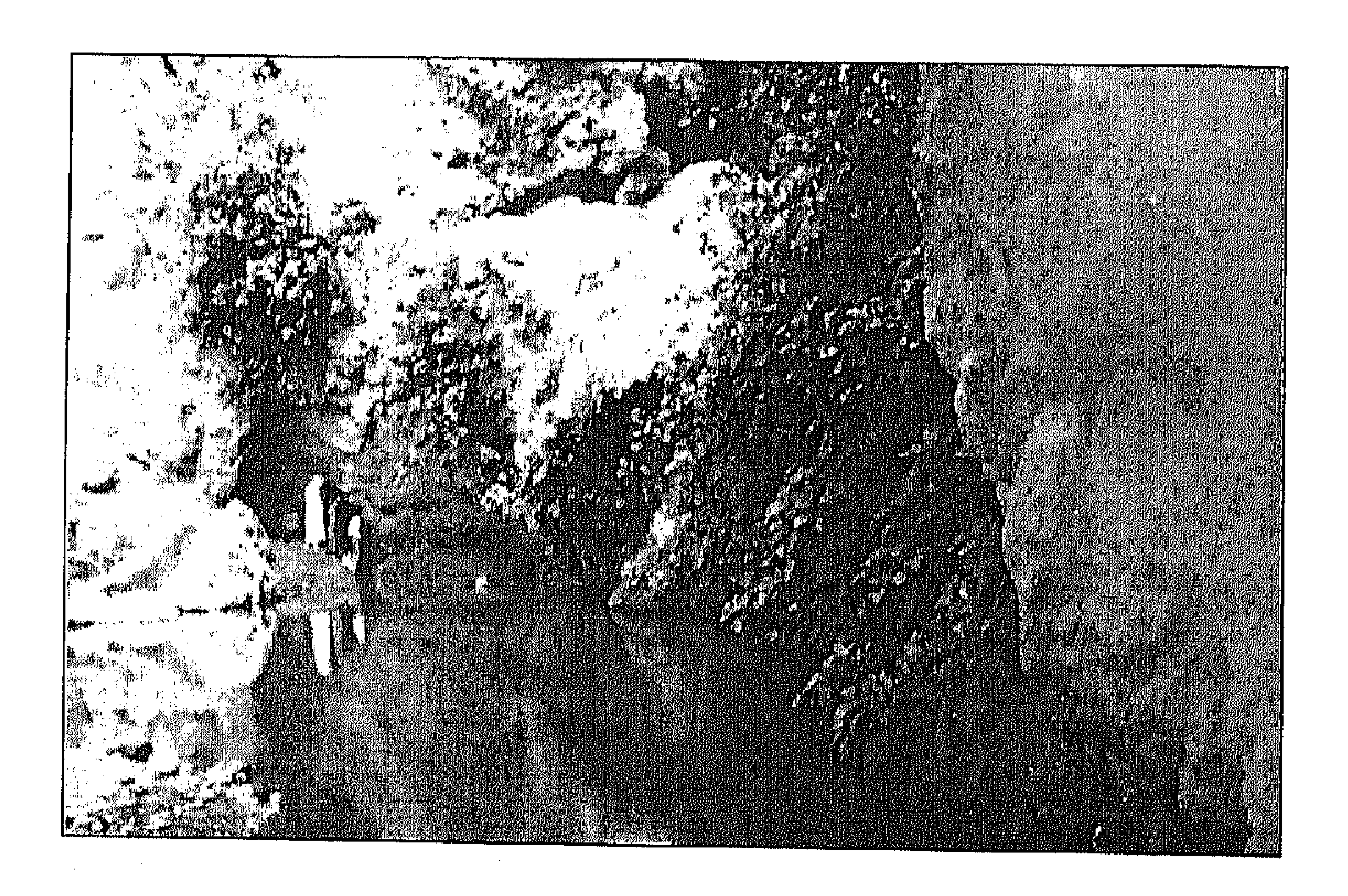
سيدي إبراهيم وسعيد - من الخارج



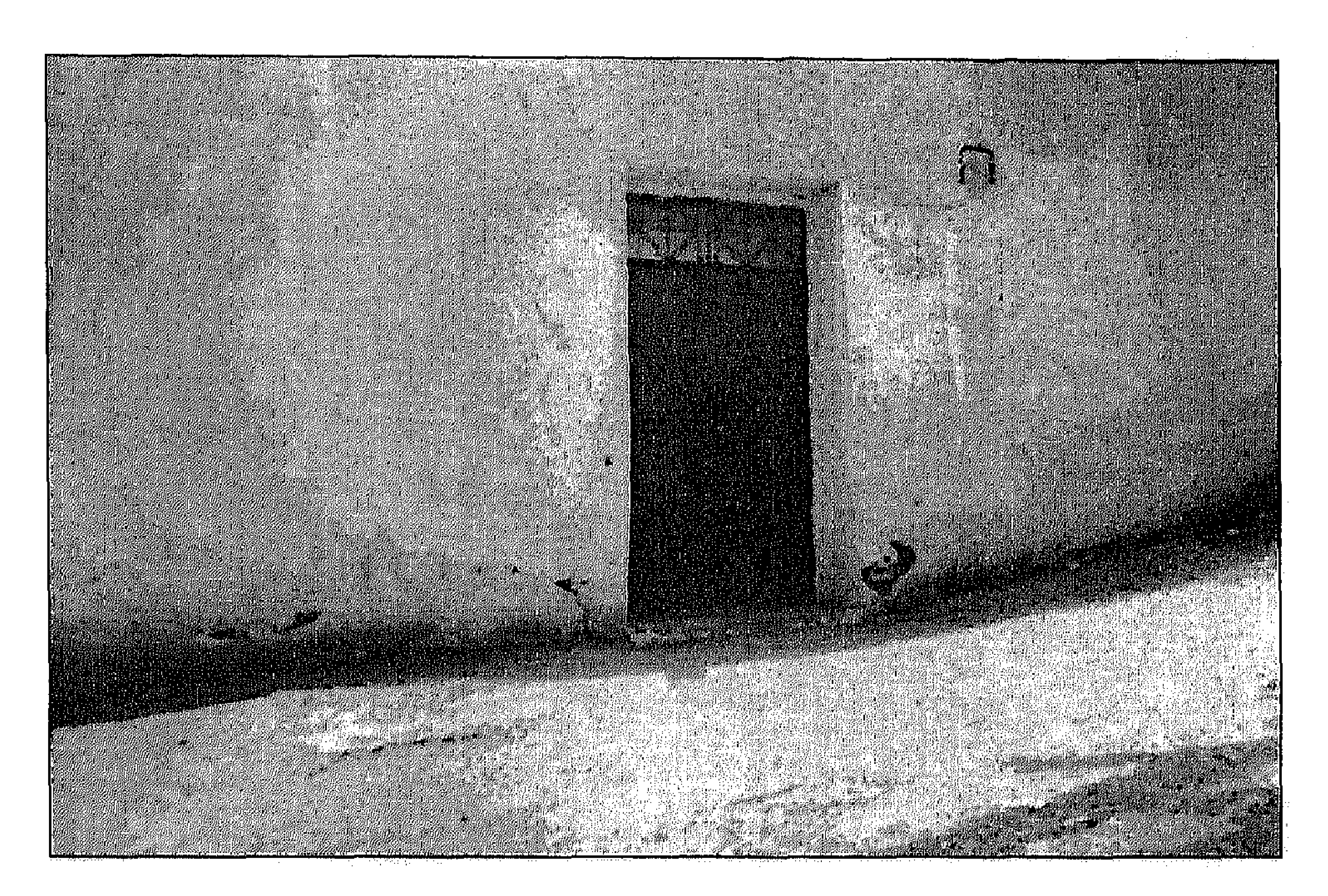
ضريح سيدي جبراين - واورينت



ضريح سيدي جبراين- من الخارج



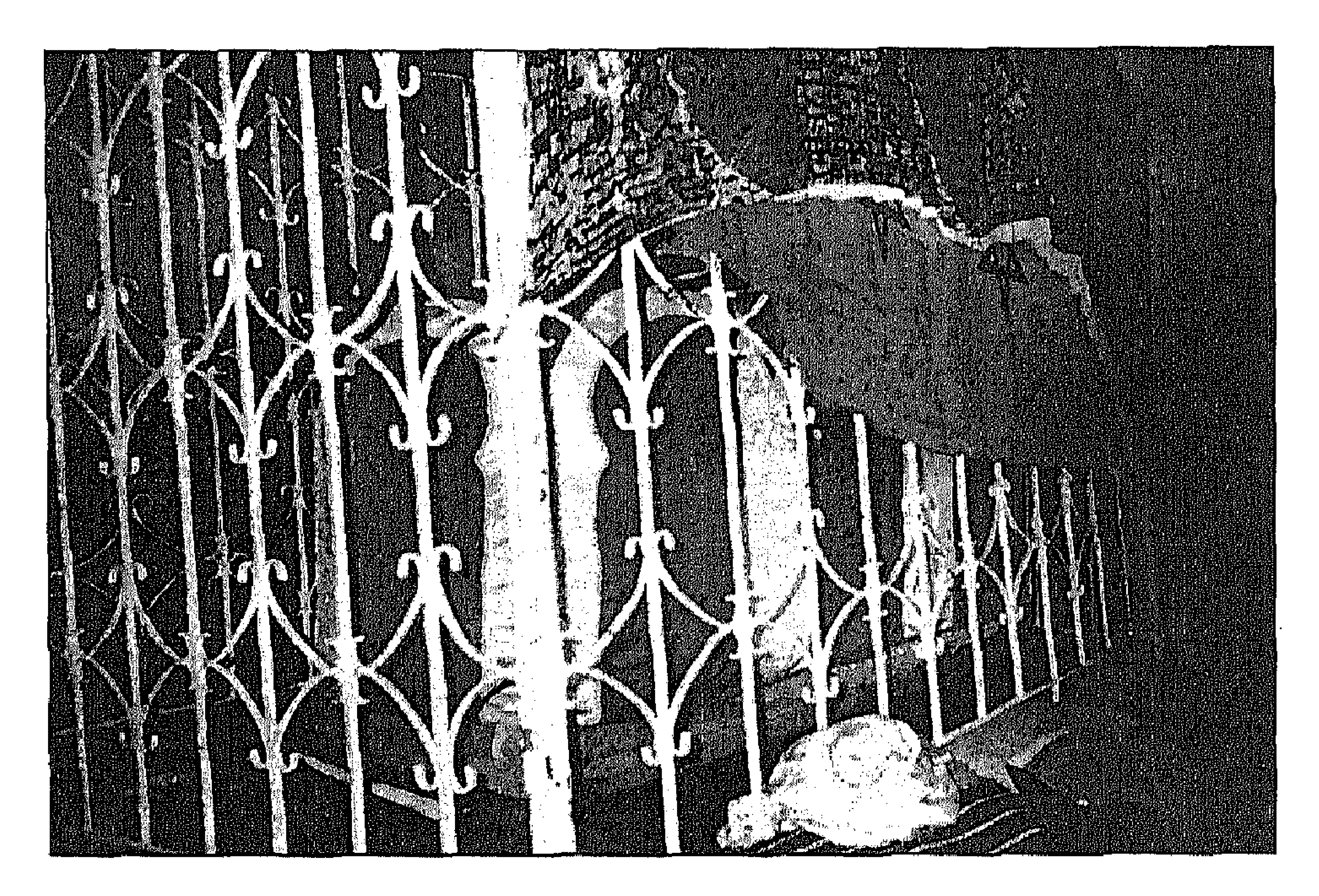
عين للارحمة



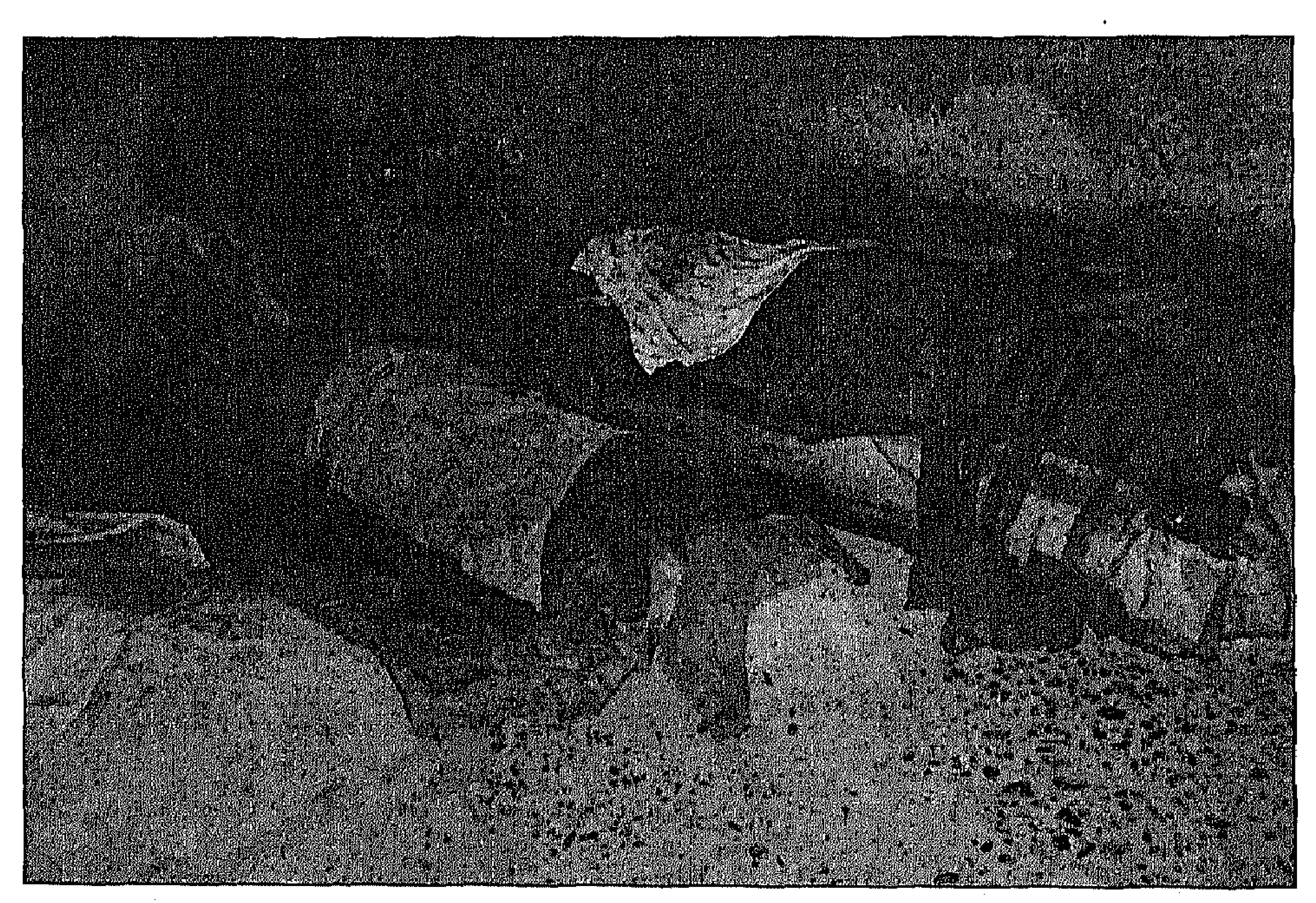
سيدي مول البرج " اليهودي"، من الخارج - فم تاغية



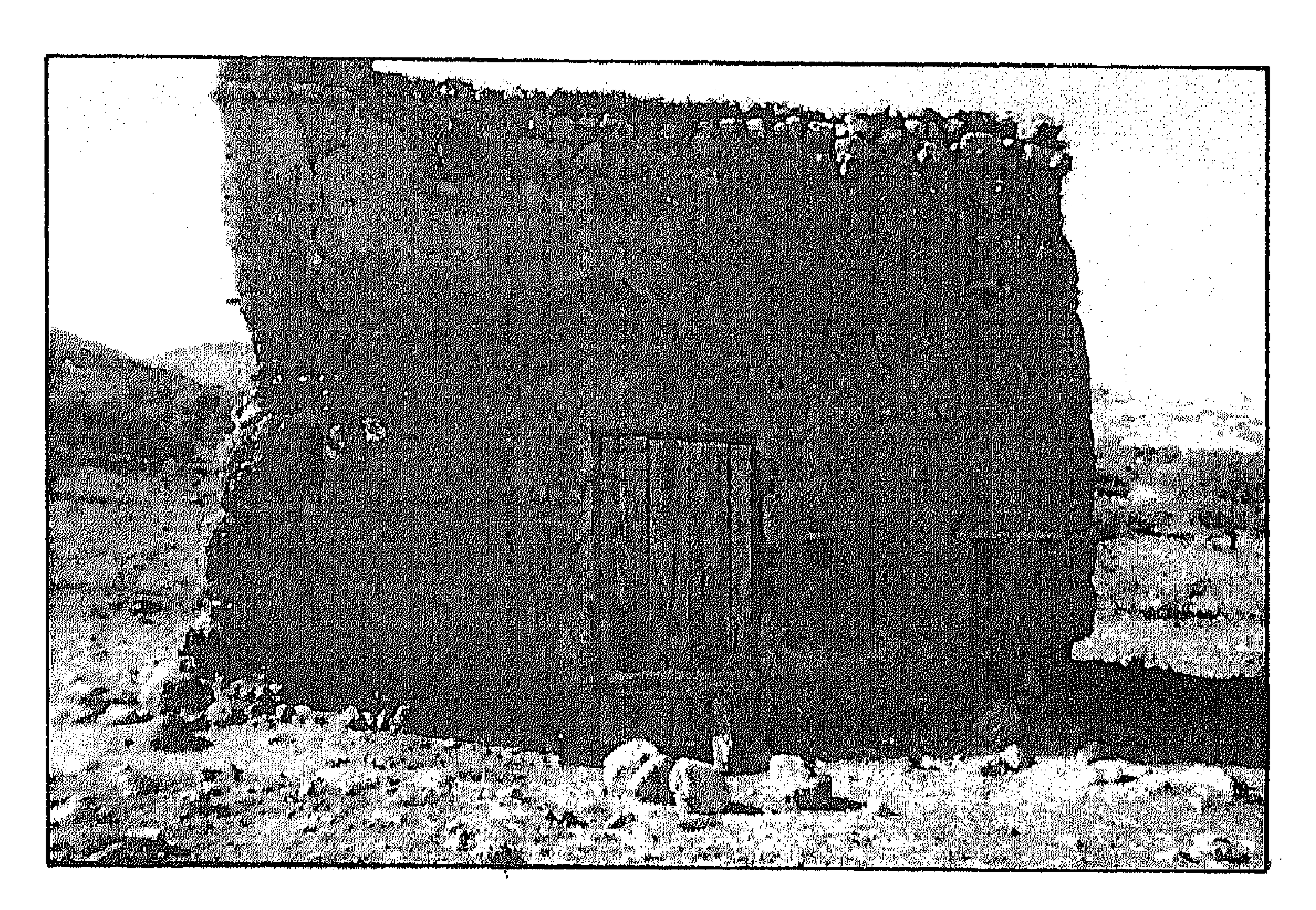
ضريح " سيدي مول البرج " من الخارج



ضريح " مولاي احساين" من الداخل - اغبالو



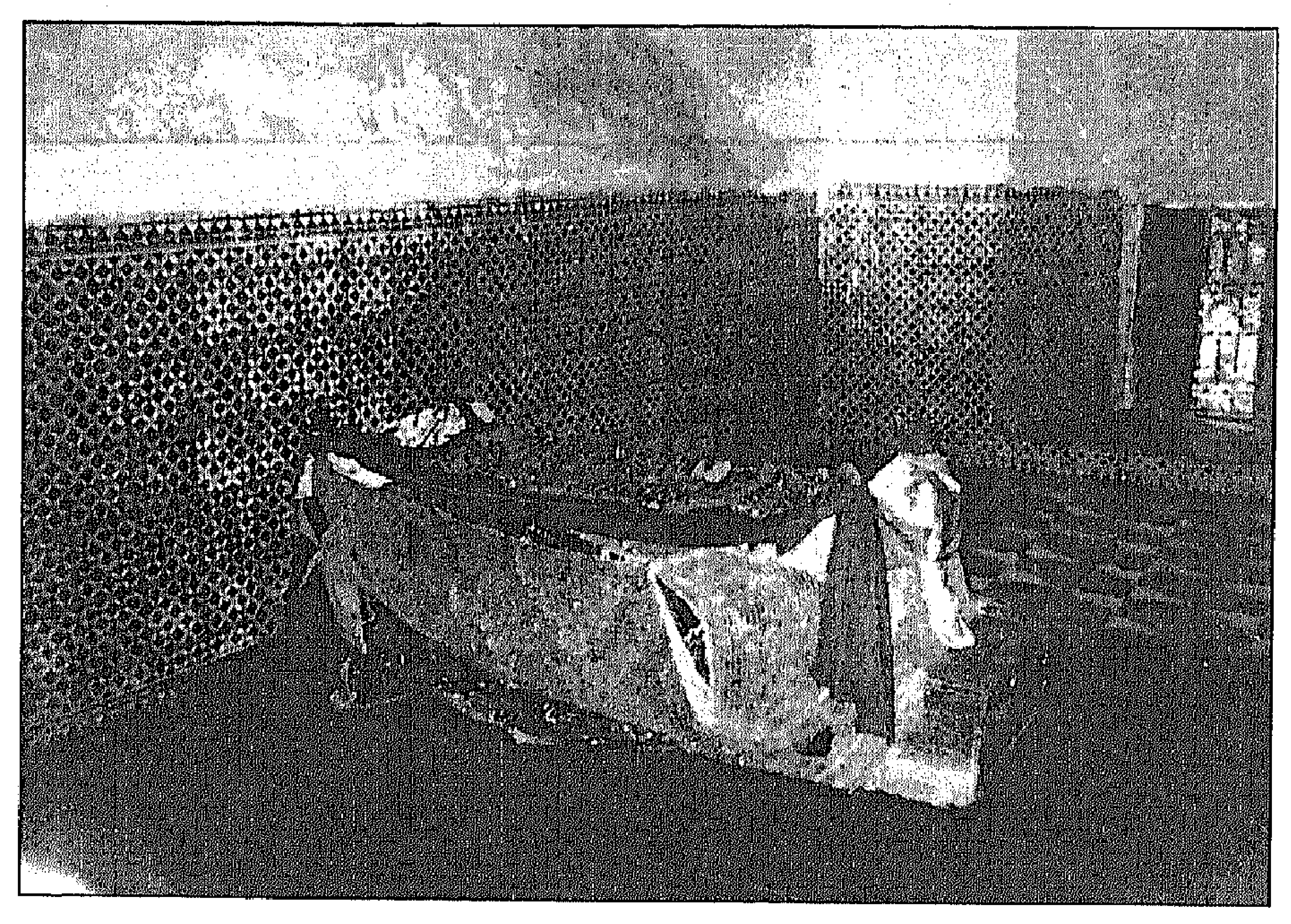
ضريح " سيدي ناحي " من الداخل - باحي



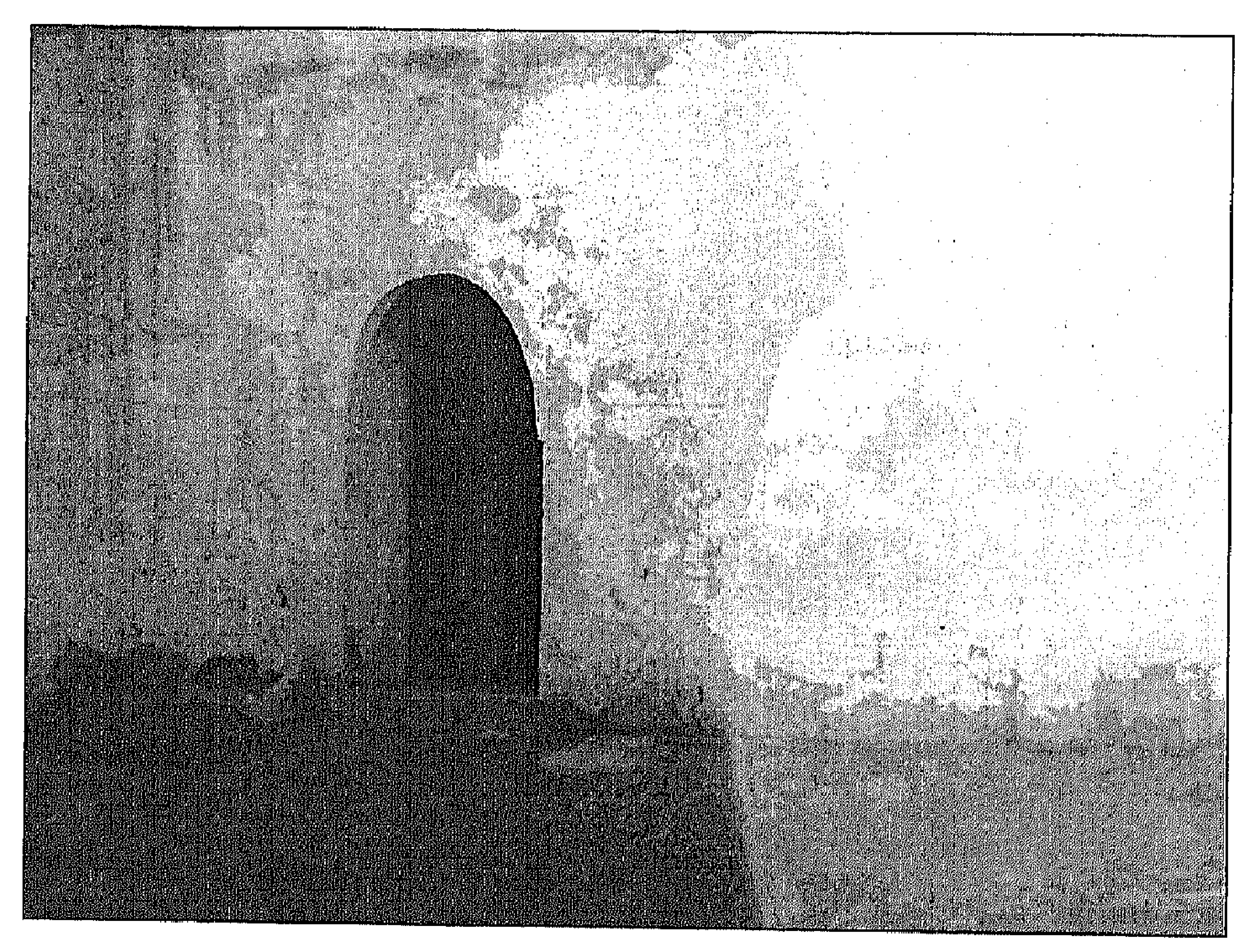
ضريح "سيدي ناحي" من الخارج



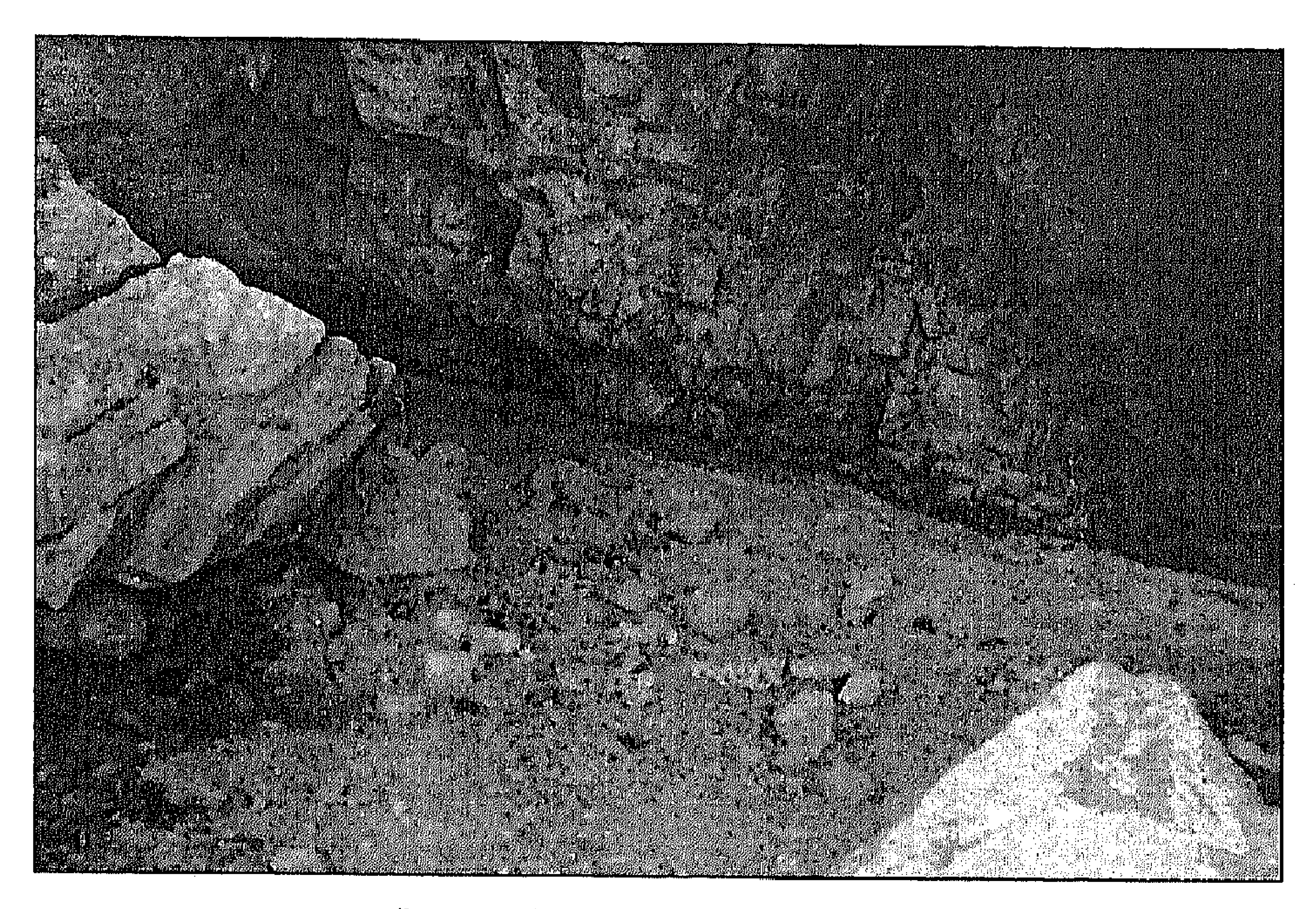
ضريح "سيدي سعيد بن ميمون " من الداخل



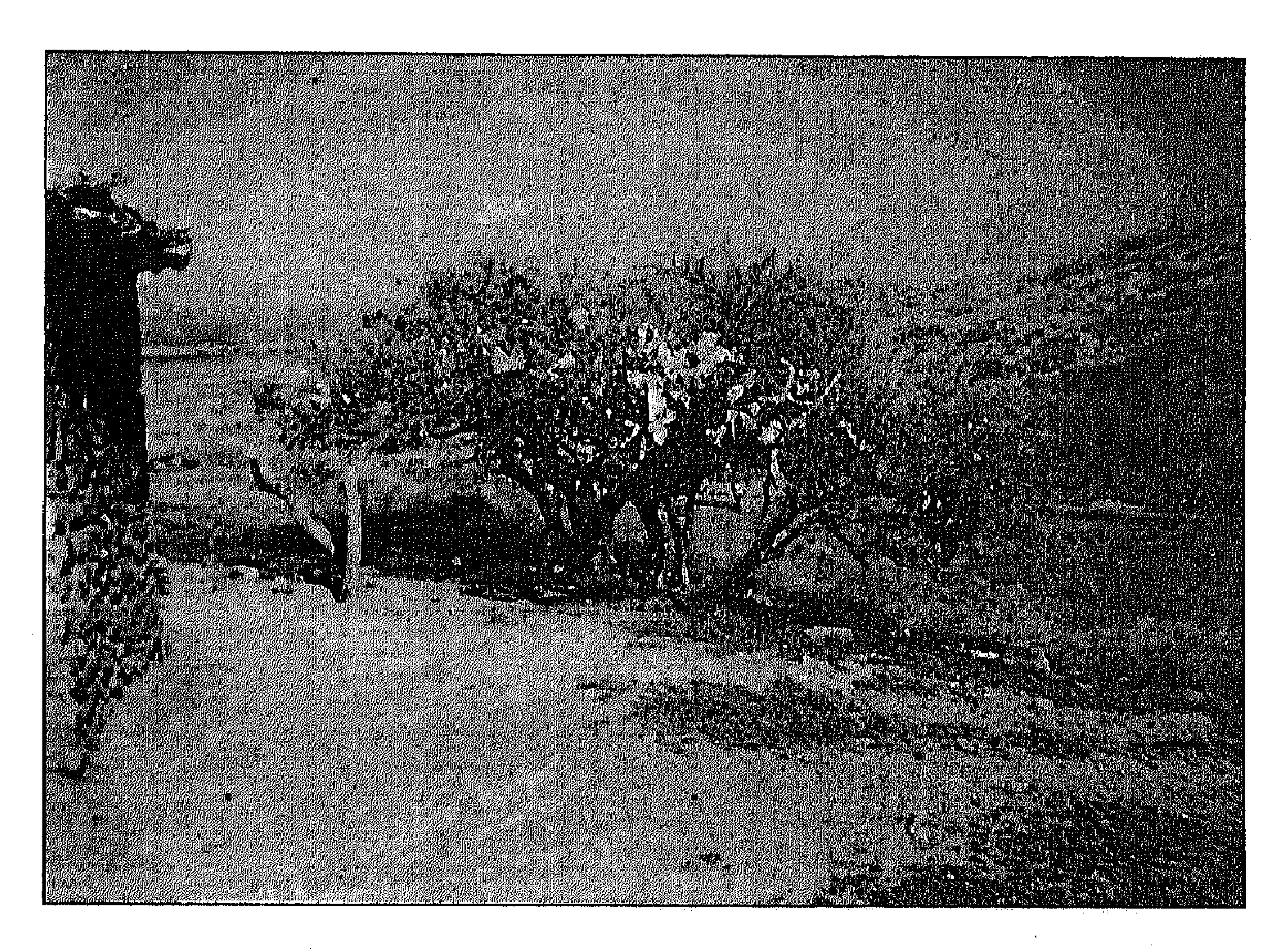
ضريح "سيدي الصغير بن المنيار من الداخل - المدرسة



ضريح "سيدي الصغير بن المنيار من الخارج



مزار " سيدي بركم - المدرسة

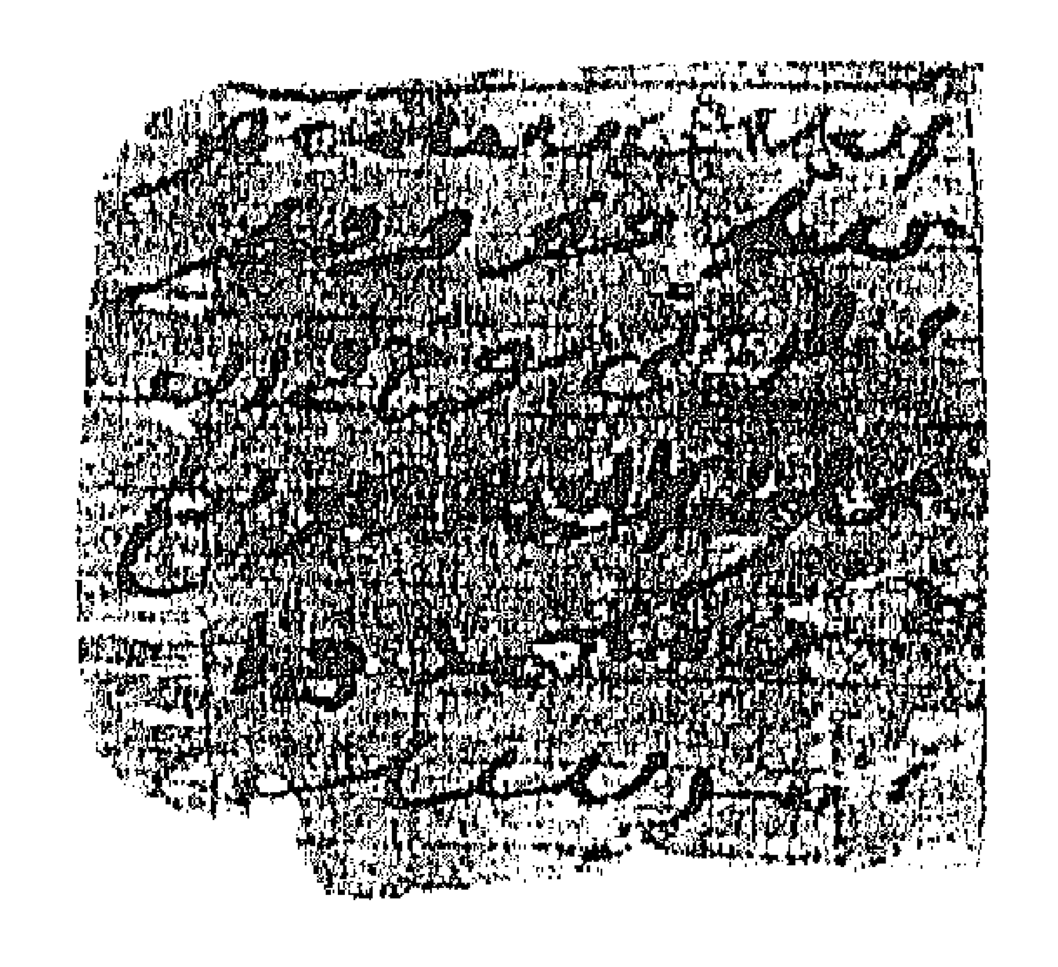


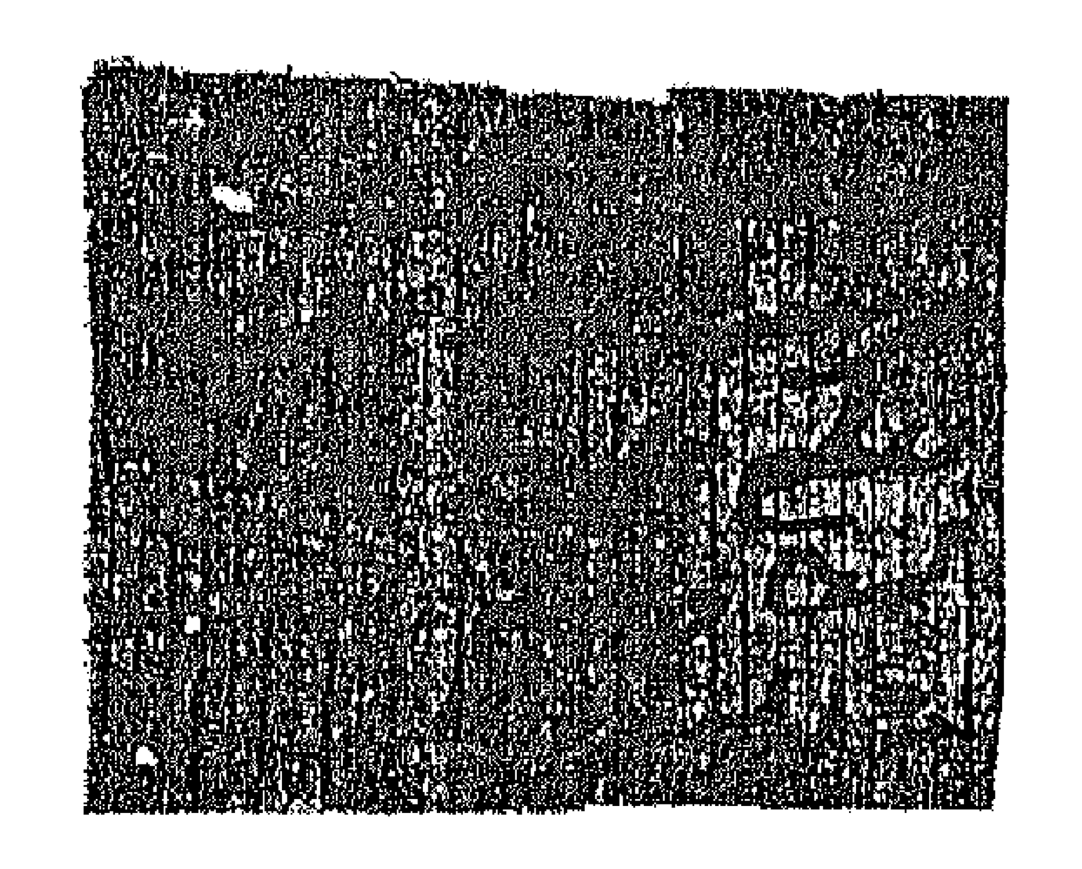
سدرة ضريح " سيدي المخفي" - وادي العبيد

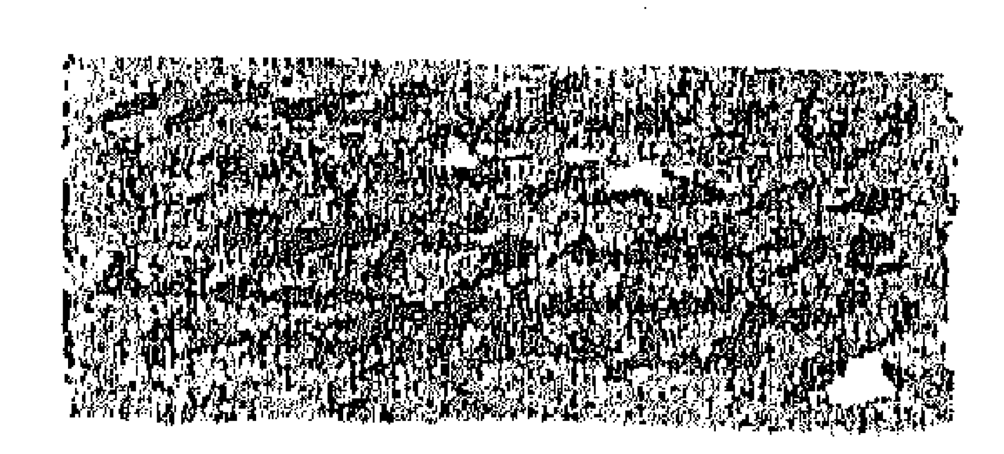
3. نماذج من التمائم



حجاب في المحبة







أحجبة تقي من السموم

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم إذ جاءها
المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين ف
كذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا
إليكم مرسلون قالوا ما أنتم
إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من
شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا
يعلم إنا إليكم لمرسلون وما
علينا إلا البلاغ المبين قالوا إنا
تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم
وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا
طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم
قوم مسرفون وجاء
من أقصى المدينة رجل يسعى
قال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم
مهتدون وما لي لا أعبد الذي فطرني
وإليه ترجعون أأتخذ من دونه
آلهة إن يردن الرحمن

حجاب العقارب

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

د	ط	ب
ج	ه	ا
ح	ا	و

د	ط	ب
ج	ه	ا
ح	ا	و

بطلاع الشمس

قائمة الأعلام

ابزو	ⴱⵣⵓ	اسم منطقة: مركز حضري صغير.
أوزود	ⵓⵣⵓⴹ	اسم منطقة: وتعني بالامازيغية الشلالات
أوال	ⴰⵡⴰⵍ	تعني بالامازيغية الكلام وتعني اصطلاحا النظم الشعري.
أزيلال	ⴰⵣⵉⵍⴰⵍ	اسم منطقة: مدينة.
أزناكة	ⵣⵏⴰⴳⴰ (ⵉⵣⵏⵏⴰⴳⵏ)	اسم منطقة وقبيلة والأصل بالامازيغية: ازناكن
أيت أمغار	ⴰⵢⵜ ⴰⵎⵖⴰⵔ	اسم قبيلة.
ايت ارباضن	ⴰⵢⵜ ⴰⵔⴱⴱⴰⴹⵏ	اسم قبيلة.
أيت بوعلي	ⴰⵢⵜ ⴱⵓⵄⵍⵉ	اسم قبيلة.
أيت جوكا	ⴰⵢⵜ ⵊⵓⴽⴰ	اسم قبيلة.
ايت مولي	ⴰⵢⵜ ⵎⵓⵍⵉ	اسم قبيلة.
أكرط	ⴰⴳⵕⴰⵟ	اسم منطقة.
الدفينة	ⴷⴼⵉⵏⴰ(ⴷⴼⵉⵏ)	نوع من الزي الامازيغي: ادفين
الدبوز	ⴷⴷⴱⵓⵣ	صندوق خشبي يقدم ضمن المفر في الأعراس المغربية.
الزنكور	ⵣⵣⵏⴽⵓⵔ	اسم منطقة
الكسكس	(ⵙⴰⴽⵙⵓ)	نوع من الطعام الامازيغي المشهور: سكسو
المدرسة	ⵍⵎⴷⵔⴰⵙⴰ	اسم منطقة.
المرس	ⵍⵎⵔⵙ	اسم قبيلة.
الرفيسة	ⵔⴼⵉⵙⴰ(ⴰⵔⴼⵉⵙ)	نوع من الطعام.
العنصرة	(ⵍⵄⵏⵚⵕⵜ)	طقس تعبدي احتفالي يعبر عنه بالامازيغية بعدة أسماء: تشعالت، شارح ملاح...
الشرشم	ⵛⵛⵔⵛⴰⵎ	نوع من الطعام المحلي.
أمبارك الكوش	ⵎⴱⴰⵔⴽ ⵍⴽⵓⵛ	اسم مكان : كهف مقدس.
إمداحن	ⵉⵎⴷⴷⴰⵃⵏ	تعني الشعراء المغنين.
إملاين	ⵉⵎⵍⴰⵢⵏ	تعني "وزراء" العريس " ، وهم " إسلان" أيضا.
أمغياي	ⴰⵎⵖⵢⴰⵢ	اسم منطقة.
إفرغس	ⵉⴼⵔⵖⴰⵙ	اسم منطقة، وتعني بالامازيغية : الأرجل.
انتيفة/ هنتيفة	ⵏⵜⵉⴼⴰ(ⵉⵏⵜⵉⴼⵏ)	اسم منطقة، والأصل بالامازيغية : إنتيفن.
إسلان	ⵉⵙⵍⴰⵏ	تعني " وزراء" العريس ومرافقيه.
إنشادن	ⵉⵏⵛⵛⴰⴷⵏ	هم الشعراء والنظامون.

أقرمود	ⴰⵇⵔⵎⵓⴷ	اسم منطقة.
إقشتالن	ⵉⴼⵛⵜⴰⵍⵏ	اسم منطقة وقبيلة.
اشبارو	ⴰⵛⴱⴰⵔⵓ	اسم منطقة.
إتقرشين	ⵉⵜⵇⵔⵉⵛⵏ	اسم منطقة وقبيلة.
اغبالو	ⴰⵖⴱⴰⵍⵓ	اسم منطقة، وتعني بالامازيغية " الضل".
إغرم	ⵉⵖⵔⵎ	اسم منطقة، وتعني بالامازيغية " القصبة السكنية".
إردادن	ⵉⵔⴷⴷⴰⴷⵏ	هم الذين يردون على الشاعر ويرافقونه.
إضرن ن علال	ⵉⴹⵕⵏ ⵏ ⵄⵍⵍⴰⵍ	اسم منطقة، وتعني بالامازيغية، أقدام علال.
باحي	ⴱⴰⵃⵉ	اسم قبيلة ومنطقة.
بلاد بركاش	ⴱⵍⴰⴷ ⴱⵔⴽⴰⵛ	اسم منطقة.
بني ملال	ⴱⵏⵉ ⵎⵍⵍⴰⵍ	اسم منطقة: مدينة.
بركوكش	ⴱⵔⴽⵓⴽⵛ	نوع من الطعام المحلية.
دمنات	ⴷⵎⵏⴰⵜ	اسم منطقة: مركز حضري صغير.
واويزغت	ⵡⴰⵡⵉⵣⵖⵜ	اسم منطقة: مركز حضري صغير.
واورينت	ⵡⴰⵡⵔⵉⵏⵜ	اسم منطقة: مركز حضري صغير.
وادي العبيد	ⵡⴰⴷ ⵍⵄⴱⵉⴷ(ⴰⵙⵉⴼ ⵉⵙⵎⵅⴰⵏ)	اسم وادي، والأصل بالامازيغية: أسيف إسمخان.
وارك	ⵡⴰⵔⴽ	اسم منطقة.
زالكن	ⵣⴰⵍⴽⵏ	اسم منطقة وقبيلة.
زكاوة	ⵣⴽⴰⵡⴰ	نوع من الطعام المحلي يقدم في حفلة العرس.
حدومازوز	ⵀⴰⴷⴷⵓ ⵎⴰⵣⵓⵣ	اسم مكان: حوش مقدس.
لوطا	ⵍⵓⵟⴰ	اسم منطقة.
للارحمة	ⵍⵍⴰ ⵔⵃⵎⴰ	اسم عين مقدسة.
للاعزيزة	ⵍⵍⴰ ⵄⵣⵉⵣⴰ	اسم منطقة.
لعطف	ⵍⵄⵟⴼ	اسم منطقة.
مولاي ابراهيم	ⵎⵓⵍⴰⵢ ⴱⵔⴰⵀⵉⵎ	ضريح ولي.
مولاي احساين	ⵎⵓⵍⴰⵢ ⵃⵙⴰⵢⵏ	ضريح ولي.
فم تاغية	ⴼⴰⵎ ⵜⴰⵖⵢⴰ(ⵉⵎⵉ ⵏ ⵜⴰⵅⵢⴰ)	اسم منطقة، والأصل بالامازيغية: إيمي ن تاغيا.
سيدي إبراهيم وسعيد	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵔⴰⵀⵉⵎ ⵙⵄⵉⴷ	ضريح ولي.
سيدي احمد	ⵙⵉⴷⵉ ⵃⵎⴰⴷ	ضريح ولي.
سيدي أحمد اوموسى	ⵙⵉⴷⵉ ⵃⵎⴰⴷ ⵓ ⵎⵓⵙⴰ	ضريح ولي.
سيدي احساين البهلول	ⵙⵉⴷⵉ ⵃⵙⵢⴰⵏ ⵍⴱⵀⵍⵓⵍ	ضريح ولي.
سيدي امحمد	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵃⵎⵎⴷ	ضريح ولي.
سيدي امحمد المخفي	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵃⵎⵎⴷ ⵍⵎⵅⴼⵉ	ضريح ولي.

سيدي الصغير بن المنيار	ⵙⵉⴷⵉ ⵚⵖⵉⵕ ⴱⵏ ⵍⵎⵏⵢⴰⵔ	ضريح ولي.
سيدي أيت ارباضن	ⵙⵉⴷⵉ ⴰⵢⵜ ⴰⵕⴱ. ⴱⴰⴹⵏ	ضريح ولي.
سيدي أيت زمور	ⵙⵉⴷⵉ ⴰⵢⵜ ⵣⵎⵎⵓⵔ	ضريح ولي.
سيدي الطاهر مول الواد	ⵙⵉⴷⵉ ⴹⴹⴰⵀⵕ ⵎⵓⵍ ⵍⵡⴰⴷ	ضريح ولي.
سيدي بركم	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵔⴽⵎ	ضريح ولي.
سيدي بو امحمد صالح	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵎⵃⵎⴷ ⵙⴰⵍⵃ	ضريح ولي.
سيدي بوشتى	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵛⵜⴰ	ضريح ولي.
سيدي بتوالا	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵜⵡⴰⵍⴰ	ضريح ولي.
سيدي بويسمسال	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵢⵙⵎⵙⴰⵍ	ضريح ولي.
سيدي بوهادي	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵀⴰⴷⵉ	ضريح ولي.
سيدي بوريبان	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵔⵉⴱⴰⵏ	ضريح ولي.
سيدي بوصباع	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵚⴱⴰⵄ	ضريح ولي.
سيدي بوالقنادل	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵇⵏⴰⴷⵍ	ضريح ولي.
سيدي بوعجاجة	ⵙⵉⴷⵉ ⴱⵓⵄⵊⴰⵊⴰ	ضريح ولي.
سيدي جعفر	.	ضريح ولي
سيدنا جبراين	ⵙⵉⴷⵉ ⵊⴰⵄⴼⴰⵔ	ضريح ولي.
سيدي ويس	ⵙⵉⴷⵉ ⵊⴱⵔⴰⵢⵏ	ضريح ولي.
سيدي ناجي	ⵙⵉⴷⵉ ⵡⵉⵙ	ضريح ولي.
سيدي مالك	ⵙⵉⴷⵉ ⵏⴰⵊⵉ	ضريح ولي.
سيدي محمد الشلح	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⴰⵍⴽ	ضريح ولي.
	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵃⵎⵎⴰⴷ ⵛⵛⵍⵃ.	ضريح ولي.
سيدي مقدي	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⴰⵇⴷⵉ	ضريح ولي.
سيدي مول البرج	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵓⵍ ⵍⴱⵔⵊ	ضريح ولي.
سيدي مسعود وعلي	ⵙⵉⴷⵉ ⵎⵙⵄⵓⴷ ⵓ ⵄⵍⵉ.	ضريح ولي.
سيدي عبد الجليل	ⵙⵉⴷⵉ ⵄⴱⴷⵊⵍⵉⵍ	ضريح ولي.
سيدي عبد المولى	ⵙⵉⴷⵉ ⵄⴱⴷⵍⵎⵓⵍⴰ	ضريح ولي.
سيدي عبد الله	ⵙⵉⴷⵉ ⵄⴱⴷⵍⵍⴰ	ضريح ولي.
سيدي عبد ربه	ⵙⵉⴷⵉ ⵄⴱⴷ ⵕⴱⴱⵉⵀ	ضريح ولي.
سيدي علي ولحاج	ⵙⵉⴷⵉ ⵄⵍⵉ ⵓ ⵍⵀⴰⵊ	ضريح ولي.
سيدي سعد بن ميمون	ⵙⵉⴷⵉ ⵙⵄⴷ ⴱⵏ ⵎⵉⵎⵓⵏ	ضريح ولي.
سلمان (ضريح)	ⵙⵍⵎⴰⵏ	ضريح ولي من الديانة اليهودية.
تادلة	ⵜⴰⴷⵍⴰ	اسم منطقة.
تامدة	ⵜⴰⵎⴷⴰ	اسم منطقة، وتعني بالامازيغية: البركة الصغيرة.

تافسكا	ⵜⴰⴼⴰⵙⴽⴰ	عيد الأضحى.
تامغرا	ⵜⴰⵎⵖⵔⴰ	العرس.
تاغنجا	ⵜⴰⵖⵏⵊⴰ	طقس تعبدي لاستسقاء المطر، وكلمة "تغنجا"الامازيغية تعني الملعقة (الخشبية).
تكوداست	ⵜⴰⴽⵓⴷⴰⵙⵜ	اسم منطقة.
تكونت	ⵜⴰⴽⵓⵏⵜ	اسم منطقة.
تمقديت	ⵜⴰⵎⵇⴷⵉⵜ	اسم منطقة.
تنانت	ⵜⴰⵏⴰⵏⵜ	اسم منطقة.
تسيفت	ⵜⴰⵏⵙⵉⴼⵜ	اسم منطقة.
تساوين	ⵜⴰⵙⵙⴰⵡⵉⵏ	اسم منطقة.
غجدامة	ⵖⵊⴷⴰⵎⴰ(ⵉⵖⵊⴷⴰⵎⵏ)	اسم منطقة وقبيلة، والأصل بالامازيغية " إغجديمن" .

الفهرست

ⴰⴷⵍⵉⵙ ⴰⴷ ⴷ ⵢⴰⵏ ⵏ ⵓⵎⵓⴷⴷⵓ ⵉⵔⵙⴰⵏ ⴷⴳ ⵉⴷⴳⴰⵔⵏ ⵏ "ⴱⵣⵓ" ; ⴷ ⴷⴳ ⵜⵎⴳⴳⴰ ⵏ "ⴰⵢⵜ ⴱⵣⵓ" ⴷⵉ ⵜⵎⵖⵔⵉⵡⵉⵏ ⴷ ⵜⵊⴰⵙⴽⵉⵡⵉⵏ ⴷ ⵓⵔⴰⵔⵏ ⵏⵙⵉⵏ.

ⴰⴷⵍⵉⵙ ⴰⴷ ⴷ ⵢⴰⵏ ⵓⵙⴰⵔⵉ ⴷⵉ ⵍⵃⴰⴷⴰⵜ ⵏ "ⴰⵢⵜ ⴱⵣⵓ" ⵜⵉⵣⴰⵢⴽⵓⵜⵉⵏ ⵉ ⵢⵉⵣⵔⵉⵏ ⴷ ⵜⵉⵏ ⵉ ⵙⵓⵍⵏ, ⵜⵉⵏ ⵉ ⵜⵉⵛⵛⵏ ⵜⴰⵣⵢⵓⴷⵉ ⵉ ⵉⵙⴳⵓⴷⴰⵏ ⵜⵓⴷⵔⵜ ⵜⴰⵡⵉⵣⵉ ⵏⵙⵉⵏ.

Ce présent ouvrage est une sorte de voyage dans les lieux de la ville de Bzou, mais aussi dans ses environs. Il décrit les coutumes et les traditions de ses habitants. C'est un témoignage sur la vie quotidienne des Bziouis à travers les différentes célébrations locales telles que : les cérémonies religieuses et sociales qui donnent à leur existence une signification et une qualité.



12 DH